

الخنّاقون

د. أحمد خالد توفيق

مقدمة

اسمها (عبير) ...

لم يكن لها نصيب من اسمها ... فهى تفتقر إلى الجمال الذى يوحى به الاسم .. إنها سمراء نحيلة بارزة عظام الوجنتين ، باردة الأطراف .. ترتجف رعبًا من أى شىء وكل شىء ...

إنها حتى غير مثقفة .. وبكل المقاييس المعروفة لا تصلح كى تكون بطلتنا .. أو بطلة أى شخص سوانا ..

هى لا تلعب التنس ، ولا تعرف السباحة ، ولا تقود سيارات (الرالى) ، وليست عضوًا فى فريق لمكافحة الجاسوسية ، أو مقاومة التهريب ..

لكن (عبير) - برغم ذلك - تملك أرقّ روح عرفتها فى حياتى .. تملك إحساسًا بالجمال ورفقًا بالكائنات .. وتملك مع كل هذا خيالاً يسع المحيط بكل ما فيه ...

لهذا أرى أن (عبير) هى ملكة جمال الأرواح ، إذا وجد لقب كهذا يومًا ما ..

ولهذا أرى أن (عبير) تستحق مكافأة صغيرة ...

ستكون بطلتنا الدائمة .. ولسوف نتعلم معًا كيف نحبها ونخاف عليها ونرتجف فرقًا إذا ما حاق بها مكروه ....

ولأن (عبير) تملك القدرة على الحلم .. ولأنها تختزن فى مقدمة مخها مئات الحكايات المسلية ، وآلاف الأحداث التى خلقها إبداع الأدباء عبر العصور ..

لذلك وقع عليها الاختيار كى ترحل إلى (فانتازيا) ..

(فانتازيا) أرض الأحلام التى لا تنتهى ..

(فانتازيا) حيث كل شىء ممكن .. وكل حلم متاح ..

(فانتازيا) جنة عاشقى الخيال ....

ولسوف نرحل جميعًا مع (عبير) .. سنضع حاجياتنا وهمومنا فى القطار الذاهب إلى (فانتازيا) ..

وهناك سنتعلم كيف نحلم ...

إن صفير القطار يدوى ، والبخار يتصاعد حول قاطرته .. هو ذا جرس المحطة يدق .. إذن فلنسرع ..!..

لقد حان موعدنا مع الأحلام فى (فانتازيا) ..



١ - مغامرة جديدة ..

قطار (فانتازيا) يهدر بين معالم هذه الأرض التى غفل عنها الزمن .. أرض لا حياة لها سوى أفكار ملايين المفكرين والرسامين والمولعين بالحلم .. رسموا حدودها .. وأوجدوا سكانها .. وشكلوا جبالها وسهولها وبحارها ..

و (عبير) فى القطار جوار (المرشد) تتأمل المشهد من النافذة ، وكدأبها ترى عشرات الاحتمالات للحظات من الحلم ..

هل تصطاد الأسود مع قبائل (الزولو) ؟ أم تصطاد الفقمة مع رجال (الإسكيمو) ؟ أم تتعذب مع (آنا كارنينا) ؟ أم تحارب الكائنات الغريبة القادمة من المريخ فى حرب العوالم ؟ أم تتسلل إلى قصر الدوق مع (أرسين لوبين) ؟ أم تكون هى (سانتى) فى عالم (يوسف إدريس) ؟ أم .... أم ؟

(المرشد) صامت جوارها ، بوجهه الشبيه بقناع

الموت .. لا يفعل أى شىء سوى مداعبة قلمه الزنبركى الشهير :

- « تك تتك تك ! تك تتك تك ! »

مالت برأسها لتتأمله .. وبعد هنيهة سألته :

- « (مرشد) ؟! »

- « تك تتك ! هم م ؟ »

- « ماذا أفعل حين ينتهى كل هذا ؟ حين يصل قطار (فانتازيا) إلى نهاية حدود المملكة ؟ »

مط شفتيه بمعنى أنه يستبعد هذا .. وقال :

- « مستحيل .. لا توجد حدود للإبداع البشرى .. وبالتالى لا حدود لهذه الأرض إلا حين تفنى الحياة من الكون .. »

- « لكنى لا أقرأ ! أنا حبيسة فى عالم الأطياف هذا .. لا جديد على عقلى الباطن .. ولا بد أن يجىء اليوم الذى ألتهم فيه نفسى .. وينقضَ خيالى على نفسه .. »

- « هذا كلام سليم نظريًا .. لكنه عمليًا مستحيل .. لقد كتب (هـ .. ج .. ويلز) رائعته (آلة الزمن) .. لكنى أسألك عن عدد المعالجات التى تضمنت فكرة آلة

الزمن ؟ آلاف ! وبالتالى لن تكون زيارتك لعالم آلة الزمن هى الكلمة الأخيرة فى هذا الموضوع .. »

من العدل أن نقول : إن (عبير) لم تشعر بأدنى ذعر من وضعها الغريب .. لقد كانت تنتمى لـ (فانتازيا) .. بطاقتها الشخصية الحقيقية تحمل الجنسية الفانتازية .. وها هى ذى مرغمة على الحياة على الأرض التى أحبتها كثيرًا .. هل من إرغام أفضل من هذا ؟!

إنها قد سئمت حياة الواقع حقًا .. وعرفت أنها عاجزة عن السعادة فيها .. هى لا تملك (معدات) الحياة فى عالم الواقع ، ويبدو أنها قد أعدت لعالم لا وجود له ، ككائن من (أورانوس) ولد على الأرض .. وظل الناس يلومونه ليلاً ونهارًا : ألن تتأقلم يا أحمق ؟

الواقع أنه لن يتأقلم ...

الواقع أنه غير معد للحياة بيننا ...

الواقع أن المكان الوحيد الملائم له هو (أورانوس) ..

وها هى ذى (عبير) قد ارتحلت إلى (أورانوس) .. بل هى مرغمة على البقاء فيه .. أليس هذا فاتنًا ؟

★ ★ ★

ولكن ما الذى حدث لـ (عبير) فى عالم الواقع ؟
ما موقف (شريف) مما حدث لزوجته (كانت قد كفت عن أن تكون فأر تجاربه منذ زمن) ؟ ما مصير الطفل فى أحشائها ؟

هذه الأسئلة لن نجيب عنها الآن ..

سنترك الأحداث تجرفنا معها .. وإن اصطدمنا بصخرة الواقع يومًا فسوف نتحدث عن هذا بشىء من التفصيل ..

★ ★ ★

نعود الآن إلى (عبير) الغارقة ـ كالعادة ـ فى نشوتها ، وهى تتأمل آلاف الاحتمالات فى (فانتازيا) ..

هى ذى أسطورة (جلجاميش) الفارسية .. وملحمة (الشهنامة) .. وهو ذا (سيف بن ذى يزن) و (أبو زيد الهلالى) .. ومن بعيد ترى مدينة (كامى) الجزائرية التى اجتاحها الطاعون .. وترى المغامرين الخمسة وكلبهم ، بينما الشاويش (فرقع) يطاردهم حانقًا ..

ثم ـ أخيرًا ـ ترى مدينة هندية ...

من السهل دائمًا تبين معالم مدينة هندية فى

(فانتازيا) .. لأن (دى - جى - ٢) يضع كل البيض فى سلةٍ واحدة .. أفيال وأبقار وحواة وفقراء هنود وراقصات ...

كانت قد خبرت هذا المناخ بشكل عابر مع (جيمس بوند) فى إحدى مغامراته التى لا تصدق ..

الحق أنه لجو ساحر ويحرّك الخيال ..

لكنها فقط لا ترتاح كثيرًا للإصابةِ بالكوليرا والملاريا والجذام ومرض الفيل والنزلات المعوية .. وما أوفرها هنا ..

كأنما قرأ (المرشد) ما يدور بذهنها .. قال :

- « لا تخافى .. المرض هنا يخدم الخيال ولا يؤذيه .. لن تصابى بداء الفيل دونما سبب كما يحدث فى الواقع .. بل ستصابين به لو كانت هناك ضرورة دراميةً ملحةً لذلك ! »

- « هذا مطمئن .. »

- « هل أوقف القطار ؟ »

نظرت له فى شرود .. ثم هزّت كتفيها .. موافقة .. وتوقف قطار (فانتازيا) عند محطته الجديدة ...

★ ★ ★

قال لها (المرشد) وهو يعينها على النزول :

- « إنها هند القرن التاسع عشر .. فيها كثير من الأسرار التى لا يمكن التعبير عنها بكلمات .. يقولون : إن الهند هى البلد الوحيد فى العالم الذى لم يُكتشف بعد .. »

قالت وهى ترفع ثوبها لتتحاشى بقعة من الوحل :

- « لكنى بالتأكيد قرأت عن القصة التالية .. »

- « حتمًا .. لكنى سأتركك كى تكتشفيها بنفسك .. »

- « ومن أنا اليوم ؟ »

تأملها فى اهتمام من قمة رأسها إلى أخمص قدميها .. كأنما يراها للمرة الأولى .. واكتسى وجهه الجامد بقناع التفكير :

- « فلنر .. يمكننى أن أجعلك امرأة هندية ترتدى السارى .. أو فتاة إنجليزية .. أنت تعلمين أن انجلترا كانت تسيطر على الهند فى هذا الوقت .. يوجد هنا الكثير من الإنجليز : جنرالات وجنود ومعلمون وقساوسة ومهندسون .. »

قالت له وهى ترمق الأفق :

- « إذن .. لأكن امرأة هندية .. »

- « لا .. هذا لن يفيد سياق القصة التى أعدت لك .. ستكونين ..... »

وهنا نظرت (عبير) إلى ثيابها لتجد أنها تحمل مظلة رقيقة .. وترتدى قبعة تعلوها الزهور .. وتايورًا أنيقًا فُتح صدره ليكشف عن قميص أبيض وربطة عنق كربطات الرجال ..

ووجدت أن يديها صارتا بيضاوين بلون الثلج .. ولّى اللون الخمرى المحبب المميز لها ..

على حين استكمل (المرشد) عبارته :

- « .. مس (ملدريد هولرويد) .. المدرسة الشابة التى تعلم اللغة الإنجليزية لأطفال المستعمرات .. »

فى حنق صاحت :

- « أنا أدرّس الإنجليزية ؟ هل جننت ؟ إن كل ما أعرفه من الإنجليزية هو كلمة (How is Farid ?) .. وكان كتاب المدرسة يحتم أن يكون الردّ هو : (He is fine Too !) »

قال لها وقد بدا كمن أهين :

- « من جديد تنسين أنك فى (فانتازيا) حيث لا مشاكل لغوية من أى نوع .. ألم تجيدى اليونانية والديموطيقية والروسية فى مغامرات سابقة ؟ »

وقبل أن تخرج لفظـة (بلـى) مـن فيها ؛ كـان قـد اختفى كالعادة .. وأدركت أن الوقت قد حان للاندمـاج فى عالمها الجديد ...

ولكن حذار يا (عبير) .. حذار !

إن المغامرة القادمة خطيرة إلى حد ما ...

لقد كان اختيارك غير موفق للأسف ..

★ ★ ★

٢ - معلمــة الإمبــراطورية ..

لأيام بـدأت (عبـير) تستشـعر تلـك اللـذة غـير المسبوقة : لذة التدريس .. أن يكون عليها أن تجلس إلى وجوه الأطفال السمراء النضرة ، تنقل إليهم بعض ما تعرف .. ويكون فى يقينها أنهم سيغادرون قاعة الدرس وهم يعرفون أكثر .. حتى ولو كان تعبيرًا جديدًا أو لفظة ..

ما أجمل عيونهم ! العيون السوداء المتسعة التى تحرسها غابة كثيفة من الأهداب الناعمة .. عيون حساسة ذكية .. جعلتها تنسى أجسادهم الهزيلة العارية التى تشى بسوء التغذية والفقر ..

إن الذكاء الفطرى للأطفال حقيقة - خطر لها - وهذا يجعل منهم مخلوقات لا يمكن مقاومتها ..

كان هناك طفلان إنجليزيان لكنهما - لشدة الغرابة - كانا أكثر غباءً وثقل ظل من كل الهنود الذين جلسوا حولها ..

كانت هذه هى (دلهى) فى العام ١٨٤٣ ..

لم تكن الحقائق التاريخية دقيقة تمامًا .. فالأمر كله يعتمد على ما تعرفه (عبير) عن الهند فى هذه الحقبة .. وبطبيعة الحال لم يكن كثيرًا .. وكان مصدره الأوحد هو فيلم قديم رأته فى التلفزيون هو : (مصر إلى الهند) ..

لكنها كانت ترى الجنود الإنجليز فى كل صوب بثيابهم الاستعمارية المميزة ، وكانت ترى الجنود (السيخ) بلحاهم الكثيفة ، وكانت تعرف أن مدير المدرسة إنجليزى هو المستر (إيمرسون) .. ، وكان هناك قس بروتستانتى هو الأب (ماكنزى) بثوبه الأسود الطويل المميز وياقته البيضاء الناصعة .. والمونوكل الذى يعلقه على عينه ..

ولو كانت (عبير) واسعة الثقافة لعرفت أن (دلهى) اختيرت لتكون عاصمة الهند مرتين فى تاريخها ، وذلك لتوسط موقعها واعتدال مناخها .. المرة الأولى كانت فى عهد إمبراطورية المغول .. والمرة الثانية عام ١٩١٢ .. وقبل هذا التاريخ كانت (كلكتا) هى العاصمة ..

إن (دلهى) مدينة قديمة حقًا ، ويبدو أنها كانت دومًا هناك منذ دخل الإسكندر الهند .. وغدت عاصمة لدولة هندوسية إلى أن أغار عليها (محمد الغور) سنة ١١٩١م .. وبنى بها السلطان (قطب الدين أيبك) حيًا إسلاميًا يعرف بـ (مدينة قطب) ..

ولقد دمرت (دلهى) حين هاجمها (تيمور لنك) لكن السلطان (أكبر) جددها وشهدت دولة المغول المسلمين حتى عام ١٨٥٧

لقد جعل (شاه جهان) من (دلهى) تحفة فنية إسلامية زاخرة بالمساجد والمآذن الدقيقة .. وبنى بها واحدًا من أكبر مساجد الدنيا - إن لم يكن أكبرها - هو المسجد الجامع .

هل تسألون عن (تاج محل) ؟ كلا يا رفاق .. إن (شاه جهان) هو بانى (تاج محل) حقًا .. لكنه بناه فى (أجرا) وليس (دلهى) .. هناك حيث تثوى رفات زوجته المحبوبة (ممتاز محل) ..

الواقع أن تاريخ الهند العريق كان دائمًا باسمًا مفعمًا بالمجد .. حتى جاء الإنجليز !

دائمًا هناك الإنجليز بسفنهم ومدافعهم يأتون

ليفسدوا كل شىء .. جاءوا أولاً مرتدين ثياب التُجّار تحت اسم (شركة الهند الإنجليزية) .. ثم تحولت التجارة إلى حكم استعمارى سافر عام ١٧٦٤

وظل الهنود يرزحون تحت سيطرة (جون بول) القادم من شمال أوروبا .. حتى عام ١٩٤٧م .. حين استقلت الهند وباكستان ..

وهذه قصة طويلة أشبه بأساطير هذا البلد العجيب .. ترى فيها شيخًا متهالكًا اسمه (غاندى) وشابًا متحمسًا اسمه (نهرو) ورجلاً حويطًا اسمه (محمد على جناح) ..

لكن ليس هذا هو الموضع المناسب لسرد تلك الأحداث ..

. نحن فى (فانتازيا) حيث الخيال هو الحقيقة الوحيدة المعترف بها ..

★ ★ ★

فى ذلك اليوم استدعاها المستر (إمرسون) إلى مكتبه .. ولم يكن من المعتاد أن يفعل ذلك .. لهذا أدركت على الفور أن الأمر يتعلق بكارثة محققة فى الطريق ..

بقلب واجف يوشك على التوقف أو السقوط فى ضلوعها ؛ اجتازت المدخل الضيق لتدلف إلى المكتب ..

ثمة خريطة عملاقة للعالم على الجدار أشبه بالتى كان يعلقها (هتلر) فى مقره بـ (الرايخستاج) .. ونموذج للكرة الأرضية على المكتب .. جواره علم بريطانيا بألوانه الاستعمارية المميزة ..

للمرة الأولى ترى مستر (إمرسون) عن كثب إلى هذا الحدّ .. بدا لها كدُبّ حديقة الحيوان حينما تراه على الطبيعة أول مرة .. بحاجبيه الكثَّين غزيرى الشعر اللذين يوشكان على حجب عينيه .. وسالفيه الكثين المشعثين كسالفى قرد (البابون) .. والغليون المشتعل فى يده لا يكاد يدسه بين شفتيه أبدًا ..

كان رهيبًا .. وأدركت أن ما يقوله سيكون رهيبًا كذلك ..

- « أوه .. مس (هولرويد) ! كنت أريدك ... »

دنت منه فى هيبة محاولة ألا تتعثر فى تنورتها .. رائحة التبغ تفعم أنفها فتوشك على السعال .. لكن السعال ليس مستحبًا جدًا فى حضرة الرؤساء ...

وارتفع الحاجبان الكثان ليكشفا عن عينين زرقاوين

شديدتى النفاذ والتـأثير .. كأنهمـا سـلاحان فتاكـان يضعهما فى غمدهما لحين الحاجة إلى استعمالهما ..

أردف الرجل بنفس اللهجة الإنجليزية الممتازة :

- « إن لدىَّ تقارير عدة عن تجاوزات معينـة فى الصف الخاص بك .. »

خرج صوتها مبحوحًا كأنما لم تستعمله قط :

- « تـ .. تجاوزات ؟ »

- « نعم .. يقال إنك تدللين الأطفال الهنود أكثر من اللازم .. »

لم تـدر مـا تقول .. فهى تهمـة لا تنكرهـا وشرف لا تدعيه .. بعد هنيهة قالت وهى تبتلع ريقها :

- « وماذا فى ذلك ؟ إنهم أطفال على كل حال .. »

- « أطفال المستعمرات لا يمكن اعتبارهم أطفالاً .. »

ثم ضيق عينيه باحثًا عن تعبير موفق :

- « .. إنهـم أعـداء صغـار السـن .. وعلينـا أن نربيهم بطريقة تلغى خطرهـم حينمـا يكبرون .. ترين أن الأمر شبيه بالإشراف على مجموعـة من الثعابين الوليدة .. »

هنا فهمت (عبير) شخصية المستر (إمرسون) بوضوح تام ..



لم تدر ماتقول .. فهى تهمة لا تنكرها وشرف لا تدعيه .. بعد هنية قالت وهى تبتلع ريقها : – « وماذا فى ذلك ؟ » ..

إنه هو (جون بول) ذاته .. الإنجليزى الاستعمارى العتيد الذى كانت تراه فى الرسوم الكاريكاتورية .. باحتقاره الدائم لشعوب الأرض غير الإنجليزية ، ونهمه الذى لا ينتهى إلى المستعمرات ..

من الصعب الجدال مع رجل كهذا .. رجل يؤمن بأنه على صواب وأن الباقين حثالة ..

هزّت رأسها فى استسلام قائلة :

ـ « سأحاول يا مستر (إمرسون) .. »

ـ « لا أريد المحاولات بل التنفيذ ... الطفل الهندى ملوم دائمًا .. على خطأ طيلة الوقت .. ويجب أن تغرسى فيه الشعور بالدونية ! »

ـ « سـ .. سأحاول .. بل سأفعل .. »

ـ « ولتكفى عن تعاطفك مع أهل هؤلاء الصبية .. نحن لسنا فى (لندن) كى تصادقى أمهات تلاميذك .. فضلاً عن أن نصف هؤلاء الهنديات مصابات بالجذام .. »

ثم هزّ رأسه فى رضًا .. وغمغم وهو يعيد عينيه إلى غمدهما :

ـ « حسن .. والآن عودى لعملك واحرصى على أن يكون من مسلكك مفخرة للتاج ولوطنك .. »

كانت هذه هى نهاية المقابلة ، وغادرت (عبير) المكتب شاعرة بالخزى .. ولم تكن قوية الشخصية إلى حدّ الشعور بالخزى من كونها لم تجابهه بصراحة .. كما أنها لم تكن شريرة إلى حدّ الشعور بالخزى لأنها لم تكن جديرة بالتاج البريطانى .. فقط شعرت بخزى لاتدرى تفسيرًا واضحًا له ..

★ ★ ★

كان الأب (ماكنزى) عاكفًا على تعليم الصبية بعض الأناشيد الدينية .. وفى تأدب طلبت منه (عبير) أن ينسحب ليتحدثا على انفراد ..

ضمّ طرفى عباءته السوداء وأشار إلى أنجب التلاميذ كى يقف مكانه ليقود زملاءه فى الإنشاد :

- « ها للـ - للـ - يو - يااااه ! »

وفى تؤدة تبعها إلى خارج الغرفة ، بينما الحناجر الصغيرة مستمرة فى الغناء الذى بدا لها رخيمًا حقًا ..

سألته وهى تتأمل عينيه الزرقاوين الصافيتين :

- « ألسنا متساوين ؟»

سألها بدوره فى كياسة :

- « طبعًا .. إن الرب لا يعرف الفوارق التى نضعها بيننا .. »

هتفت فى ارتياح :

- « إذن .. فالأطفال الهنود هم كالأطفال الإنجليز فى كل شىء ! »

هنا تدارك خطأه .. فقال فى عجلة :

- « كنت أتحدث عن الإنجليز .. إنهم جميعًا سواسية .. »

- « والهنود ؟ »

- « بعض الناس متساوون أكثر من سواهم ! »

- « هل يعنى هذا أننا خير منهم .. حتى لو كانوا على ديننا ؟ »

قال الأب فى حكمة ورصانة :

- « إن قواعد الدين لا تنطبق على أبناء المستعمرات .. لا ينبغى أن نكف عن لعب دور السادة مع هؤلاء .. نعلمهم كل شىء .. الدين .. اللغة .. الحضارة .. والتلميذ لا يسبق أستاذه أبدًا .. سيظلون مدينين لنا أبدًا .. وسيظلون فى مرتبة أدنى منا مهما حدث .. »

ثم أردف وهو يثبت عينيه فى وجهها :

- « تسألين أسئلة خطيرة .. أرجو أن تتوقفى عنها فى الوقت المناسب .. »

واستدار ليعود إلى غرفة الدرس .. وهو يدمدم :

ـ « فليهدك الرب إلى اليقين يا بنيتى .. »

وقفت (عبير) هنيهة بادية البلاهة .. عاجزة عن اتخاذ رأى بخصوص كل هذا .. ثم وصلت إلى الحقيقة المريرة .. وهى أن (انجلترا) لا توظف الدين لهداية الهنود وإنقاذهم من الهندوكية .. بل لجعلهم يخضعون لها عن يقين .. يخضعون عن إيمان ...

حتى الدين يعمل موظفًا لدى الإمبراطورية التى لا تغيب عنها الشمس ..

وفى سرها تساءلت عن المغامرة التى تنتظرها فى هذا المكان الكئيب .. على حين تصاعد صوت الصبية من قاعة الدرس المغلقة :

ـ « ها للـ ـ للـ ـ يو ياا ا ـ اا ه ! »

★ ★ ★

٣ - نـزهـة ليليـة ..

يجب أن تفرّ .. يجب ..

ولكن إلى أين ؟

إن الهند بمساحتها الشاسعة تبدو الآن أضيق من غرفتها فى عالم الواقع وهى - كالعادة - لا تعرف أين تتوارى أو تقضى ليلتها ...

لسوف يجدونها دون عناء ..

وعندها .....

★ ★ ★

ولكن .. كيف وجدت نفسها فى هذا المأزق ؟

السبب معروف .. وهو ما يسمونه بلهجة العصابات (أنها عرفت أكثر مما ينبغى) ..

فما هو هذا الـ (أكثر مما ينبغى) الذى عرفته ؟ وكيف عرفته ؟

إنها لقصة طويلة تحتاج إلى العودة بضعة أيام إلى الوراء ..

★ ★ ★

بالتأكيد يمكننا بدء السرد من السوق .. لا توجد أحداث تذكر قبل هذا اليوم الذى كان ـ ما لم تخنها الذاكرة ـ يوم أربعاء ..

كانت تجول فى أحد أسواق (دلهى) .. معها خادمتها الهندية .. والحمّال (رامو) الذى يجمع بين مهنة الحمّال والحارس الخاصّ لها .. وهو من طائفة (السيخ) التى حاولت أن تقرب بين الإسلام والهندوكية ، ولهم شكل مميز لا تخطئه العين بعماماتهم الشامخة ولحاهم الكثة التى يضعونها فى شبكة ، كالتى تلف النساء فيها شعورهن ..

كانت (عبير) متأنقة كما يجدر بها أن تكون .. وعلى رأسها قبعة محلاة بالزهور .. وفى يدها مظلة رقيقة أنيقة ..، وشرع الشحاذون يطاردونها فى إلحاح .. وبعضهم راح يعرض عاهته عليها على أمل جعل قلبها يرق قليلاً .

ـ « هيه أيتها الآنسة الإنجليزية .. إن ساقى لم تعد .... »

ثم يكشف عن ساقه التى أحالها داء الفيل إلى جذع شجرة مجعد مترهل .. فتطلق (عبير) آهة وتشيح

بوجهها .. عندئذ يثب (رامو) إلى الشحاذ ليزيحه جانبًا ويسبه بعبارات من قبيل :

- « راندرانات براهاه مهانَ هاراه راجا ! »

وهى شتائم مقذعة جدًا بالتأكيد لأن وجه الخادمة يحمرّ حياءً .. ولحسن حظ (عبير) أنها لا تفهم سوى الإنجليزية فى هذه المغامرة .. إن دورها هنا يتطلب الجهل التام باللغة (الأوردية) التى يستعملونها بكثرة حولها .. دعك طبعًا من لغات (التاميل) و(المالايام) و(جوجاراتى) و(ماراتى) .. إن الهند - ولله الحمد - تتكلم مائتى لغة مختلفة .. حتى إن المتعلمين يتحدثون فيما بينهم بالإنجليزية تحاشيًا لحواجز اللغة !

نعود لما كنا نقول ......

(عبير) تشق طريقها فى زحام السوق ، لاعبة ببراعة دور المعلمة الإنجليزية الحسناء المس (ملدريد هولرويد) ...

ابتاعت بعض الموز والمانجو .. وببغاء جميل الشكل فى قفص أنيق .. وراحت تتسلى بمراقبة النسانيس الصغيرة وهى تسرق الموز من وراء ظهر الباعة ، ثم تفرّ لتلتهمه فوق أسطح الخيام ..

كان هناك واحد من (السيخ) قد علق نفسه فى الهواء بوساطة خطاطيف تتشبث بلحمه .. وبرغم هذا المشهد الرهيب لم يبد مباليًا بالألم على الإطلاق ..

سألت (رامو) فى حيرة عن معنى هذا العمل الأبله .. فقال لها وهو يضمّ كفيه إلى بعضهما أمام صدره فى وضع الابتهال الذى يتخذه مليون مرة فى الساعة :

- « إنه نذر يا آنسة ! »

- « يا سلام ؟! وما جدوى أن يعذب نفسه إلى هذا الحدّ ! »

- « لا نذر دون ألم .. »

قالها ، وكأن الحماس قد انتقل إليه .. استلّ خنجرًا متعرج النصل وأولجه فى خدّه الأيمن ليخرج من خده الأيسر .. إنه نذر آخر من نذور هؤلاء (السيخ) !

رأت (عبير) فقيرًا هنديًا ينام فوق فراش من المسامير .. ورأت حاويًا يخرج النار من فيه .. ورأت ثالثًا ينفخ المزمار أمام سلة تطلّ منها حفنة من ثعابين الكوبرا (ذات المنظار) .. ويسمونها بهذا الاسم لأن هناك رسم منظار على ظهورها ..

وكانت الثعابين تتمايل يمينًا ويسارًا مع اللحن .. فتذكرت (عبير) ما قرأته يومًا من أن الحاوى يتمايل بجسده فيرغم الثعابين على متابعته بذات الكيفية .. وبالتالى تعطى انطباع الرقص لمن يراها .....

كل الهند كانت موجودة فى هذه السوق ، وبأسلوب (دى - جى - ٢) المعتاد فى تقديم كل شىء على خشبة مسرح واحدة ....

لكن شيئًا واحدًا أثار شغفها أكثر من سواه ...

كان هناك شاب هندى يرتدى ما يشبه منامة بيضاء ، وعلى رأسه عمامة وردية اللون .. شاب أسمر وسيم الملامح .. لكنها لم تجد صعوبة فى تمييز التشابه الواضح بينه وبين (شريف) ..

إن هذا هو قدرها إذن !

سيكون رفيقها فى هذه المغامرة التى لا تدرى عنها شيئًا .

وهنا لم تعد قادرة على أن تقرر .. هل تذهب إليه ؟ تذهب إلى قدرها مباشرة ؟ أم تنتظر أن يجدها قدرها بنفسه ؟

لكن الأحداث لم تترك لها فرصة للحيرة .. لأنها

وجدت الفتى يخرج مزمارًا ويبدأ فى العزف .. وفى اللحظة التالية رأت حبلاً .. حبلاً عاديًا جدًا يرتفع ببطء إلى السماء !

إذن فالفتى ساحر هندى من سحرة الحبال إياهم ..

كان المشهد مبهرًا حقًا .. فالحبل يرتفع إلى علو عشرة أمتار تقريبًا .. ثم إذا بفتاة هندية حسناء تدنو منه فتتسلقه بتؤدة وثقة إلى منتصفه .. وتتشبث بيد وقدم واحدة بالحبل لتلوح باليد الحرة فى الهواء كلاعبة (ترابيز) فى السيرك ..

الصفير يتعالى .. وروبلات كثيرة تسقط فى سلة الحاوى ..

وقفت ـ كالمنومة مغناطيسيًا ـ تتأمل المشهد غير فاهمة ولا مصدقة .. وبعين حذرة راحت تبحث عن حيلة خبيثة ما .. فالأمور لا يمكن أن تسير على هذا المنوال أبدًا ، لكن الأمر كان حقيقيًا .. حقيقيًا إلى حدّ يثير الغيظ فى النفس ..

هنا رأت الفتى يبادلها النظرات ..

دنت أكثر من المشهد ومن عينى الفتى .. العينين المغناطيسيتين اللتين تنجحان ـ بشكل ما ـ فى جعلك

لا تلاحظ شيئاً مما يحيط بهما .. أى أنك تنسى كل شىء عن وجه صاحبهما كأنما لم يكن فى وجهه سوى عينين فوق عنق !

سمعت صوته من بعيد يخاطبها :

- « هل راق لك المشهد يا آنستى ؟ »

بتلك اللهجة الهندية التى (تبهدل) اللغة الإنجليزية ، و (تبهدل) حروف الدال والجيم لتحيلها إلى أشلاء ...

لم تدر كيف تردّ .. فهو - على كلّ حال - مجرد حاو فى سوق .. كالذين يمشون عراة الصدور فى أسواقنا ويصعدون إلى الحافلات ليضربوا صدورهم بصخرة هاتفين .. اتفرج يا مؤمن !

قالت فى كبرياء محاولة أن تبدو قليلة الاهتمام :

- « إنه .. جيد .... »

يبدو أنه كان قد أطال الحديث أكثر من اللازم ، وأنه قد نسى استعمال المزمار لتذكير الحبل بأن يظل شامخاً .. لأن صوت الصراخ دوى تلاه صوت سقطة مروعة من على ارتفاع خمسة أمتار ..

قالت (عبير) بذات الكبرياء :

ـ « أوه .. معذرة ! يبدو أن زميلتك قد تهشم رأسها .. »

ـ « لا عليك .. إنها أشياء تحدث .. لا أحد يموت بسهولة فى الهند إلا بالكوليرا .. »

ثم أردف وعيناه السوداوان تواصلان اقتحام برودها :

ـ « هل أنت منبهرة ؟ »

ـ « يصعب أن اتظاهر بالعكس .. »

ـ « أنا (قسمت) .. هل يذكرك الاسم بشىء ؟ »

مطت شفتيها فى لامبالاة .. وغمغمت :

ـ « هل هذا مفترض ؟ »

ـ « كل (دلهى) تعرف (قسمت) .. أفضل مشعوذ فى المدينة وربما فى العالم كله .. »

ـ « ربما ليس ذنبى أن اسمك لم يعبر البحار بعد .. »

ـ « إن (قسمت) مشعوذ موهوب .. يجيد كل شىء .. (قسمت) ذو القلب الشهم والأنامل الذهبية .. (قسمت) الذى يفعل كل شىء ويقنعك بأنه قادر على فعل الباقى .. (قسمت) أظرف الظرفاء وأذكى الأذكياء وأقوى الأقوياء .. »

كان يتحدث فى حماس وهو يلوح بيديه فى الهواء آتيا بحركات تمثيلية تجسم كل معنى من المعانى .. عيناه اليقظتان فى محجريهما ، وحماسه المعدى الذى لو ألقى فى نهر الموت للوثه ولجعل الموتى يرقصون طربًا فى قبورهم ...

حركات ساقيه وهو يتكلم .. كأنما ليرقص رقصة خاصة غير عادية .. وكأن لكلماته لحنًا وإيقاعًا خاصين ليس يسمعهما سواه .. وهو يتوسل إليك كى تشعر بهذا الإيقاع معه ..

(قسمت) ! من ذا الذى لا يعرف (قسمت) ؟

ولم تقع (عبير) فى هواه .. كلا .. من التسرع أن نزعم هذا ..

لكن يمكننا أن نقول دون مبالغة كبيرة إنها شعرت بميل شديد إليه ، وبدا لها طريفًا إلى أقصى حدّ ممكن ..

لقد بذر البذرة فى روحها .. تلك البذرة التى لو تعهدها أكثر لأورقت وأزهرت وأثمرت .. إن الحب - مثله مثل كل شىء آخر - يحتاج إلى جهد وموالاة مستمرين ، خاصة حين يكون عليه أن يزلزل مشاعر هذه الآنسة الإنجليزية الاستعمارية ..

ـ « لقد تأخرنا يا آنسة .. هلا شرعنا فى العودة ؟ »
تقولها الخادمة فى كياسة .. ويقول (رامو) فى فظاظة ..
ـ « فلتكفَّ يا رجل عن مضايقة الآنسة .. »
ويلوح بقبضته العملاقة التى تقارب فى حجمها رأس الرجل ذاته .. فتقول (عبير) وهى تستدير وعيناها لا تفارقان المشعوذ :
ـ « دعه يا (رامو) .. إن ما يقدمه لمسلٍّ حقًّا .. مسلٍّ .. ومثير .. »
ويغيب ثلاثتهم وسط زحام الوجوه القاتمة .. والروائح الشرقية التى تسبب الدوار ..
لكن (عبير) تنظر إلى الوراء لترى ذلك الحبل يرتفع فوق الرءوس .. وتسمع أنين المزمار الذى يمزج بين الأنين والمرح بشكل غير مسبوق .. وتعرف أنها ليست بحال طبيعية ...
من ذا الذى لا يعرف (قسمت) ؟

★ ★ ★

ـ « هل ترغب الآنسة فى نزهة ليلية ؟ »
كانت (عبير) ـ أو (ميلدريد) ـ قد فرغت من

تناول العشاء فى مسكنها الصغير المريح الذى تعيش فيه.مع أربع فتيات إنجليزيات أخريات ـ أعنى فتاتين وعانسين ـ كلهن يعملن فى التدريس .. وكان المسكن مريحًا حقًا لولا حرارة الجو الرطب المرهقة للأعصاب .. ولولا الأمطار الاستوائية التى لا تنقطع طيلة اليوم .. ولكم بدا لـ (عبير) غريبًا أن تشعر بكل هذه الحرارة تحت الأمطار .. فهو شعور لم تألفه فى مصر حيث المطر والبرد مترادفان .. لكنها فى الهند عرفت معنى الأمطار الساخنة .. الأمطار الممتزجة بالعرق والرطوبة كأنما أنت دجاجة يتم سلقها بأسلوب مبتكر ...

فى مناخ مقيت كهذا يصعب عليك أن تقضى أمسياتك فى الدار .. فالحرّ يجثم على روحك كأنه من علامات الساعة ..

لهذا بدا لها هذا العرض الذى قدمته الخادمة (جوتسنا) بعد العشاء مغريًا إلى حدّ كبير ..

صاحت زميلتها (سوزان) معترضة وهى تلتهم شرائح المانجو :

ـ « إن (رامو) ليس هنا .. ومن العسير أن تخرجى دون صحبة رجل .. »

- « ربما كان المستر (جونز) .... »

- « أعنى رجلاً حقيقيًا .. رجلاً هنديًا لا واحدًا من الإنجليز .. إن هؤلاء إلى النساء أقرب .. »

كانت (سوزان) فتاة شقراء فى الثلاثين من عمرها ، لكن وجهها الملىء بالنمش كان يجعلها أقرب إلى طفلة خرقاء .. وكانت تؤمن أن الرجل الحقيقى يجب أن يكون كتلة فظة من الشعر والعضلات والسباب .. وأن اختلاف الرجل عن الأنثى يجب أن يكون واضحًا كل الوضوح ..

قالت (عبير) وهى ترشف القهوة :

- « إن القمر مكتمل هذه الليلة .. هذا يضفى رومانسية محببة على نزهتنا .. ثم إن الهنود لا يأكلون لحم البشر .. »

- « لكنهم يمقتون الإنجليز .. »

لكن (عبير) كانت تعرف ..

لا أحد يمقتها فى (دلهى) .. فهى لم تؤذ أحدًا ولم تتعال على أحد .. إنها تحبهم ولهذا لاتجد سببًا واحدًا يمنعهم من حبها ..

لهذا حزمت أمرها .. وارتدت ثيابًا خفيفة مناسبة

للخروج ليلاً .. ولفت الخادمة السارى حول خصرها العارى .. هنا وجدت (سوزان) أن خير ما تفعله هو الخروج مع الفتاتين ..

★ ★ ★

ما أروع الليل الاستوائى !

إنه حار خانق مليء بالشجن والإحساس بالتوجّس .. هل يوجد ليل أجمل من هذا ؟

والفتيات الثلاث يمشين تحت الأمطار الخفيفة الحانية متمهلات .. (وجوتسنا) ترفع مظلة عملاقة تحاول أن تحمى بها ثلاثتهن من البلل ..

الأوحال قد بدأت تعوق سيرهن ، لكن افتتانهن بالمناخ الساحر جعلهن لايبالين بكل هذا ....

التماثيل على المعابد الهندية تلتمع بذلك الضوء الأزرق الغامض .. ضوء القمر إذ يسقط على البلل ، ورائحة الجو الرطبة تشي بالخصوبة ونداء غامض عبر الأجيال يدعوك أن .. أن ماذا ؟ لاتدرى بالضبط لكنك فى حاجة ماسة لأن تفعله ..

لا بد أن التماسيح تتقلب الآن فى نهر (الجانج) ، ولا بد أن حكيمًا بوذيًا يجلس أمام كوخه يترنم

بـ(البهاجافادجيتا) وهو يرمق المطر المنهمر ، ولا بد أن الأطفال العراة يلعبون فى الوحل ...

نعم .. هناك طفل .. لكنه لا يلعب .. بل هو يركض مذعورًا وعلى وجهه أعتى علامات الرعب .. جاء خارجًا من طيات الظلام ..

(سوزان) كانت أول من رآه .. ولفتت انتباه الفتاتين الأخريين إليه .. كان صغير السن فى الثامنة من عمره أو أقل قليلاً .. وكان يركض فى اتجاهين وهو ينظر إلى الوراء كأن الشيطان يطارده ..

لهذا لم يرهنّ ..

ولهذا اصطدم بهنّ حتى كاد يوقع (عبير) فى الوحل ..

وحين تبينت وجهه الذى مسخه الرعب عرفت أنه (سابور) .. إنه من تلاميذ صفها .. بل هو واحد من أنجبهم وأكثرهم ذكاءً ..

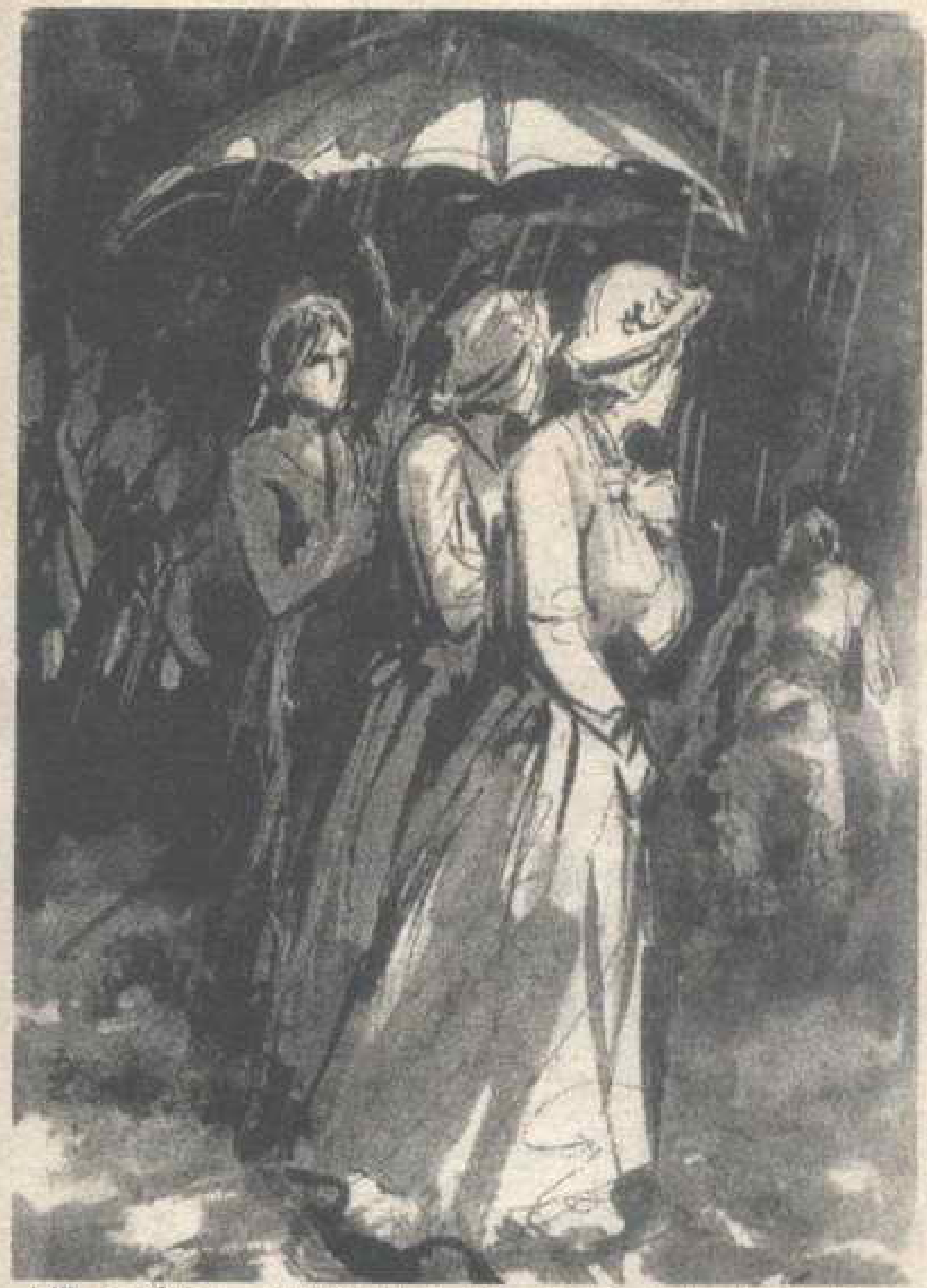
ـ « (سابور) ؟ ما الذى ؟ »

كان الرعب قد خلط حروفه ببعضها فأحالها نوعًا من (سَلَطَة) الكلمات التى يستحيل أن تستخرج منها مقطعًا مفيدًا ..

ـ « النجـدةَ ! يا آنسـةَ .. هم خلـفى .. يريـدون أن .... »

وقبل أن تفهم المزيد كان قد أطلق لساقيه العنـان ، متواريًا فى الليل الاستوائى الثقيل ......

★ ★ ★



وقبل أن تفهم المزيد كان قد أطلق لساقيه العنان ، متواريًا في الليل الاستوائي الثقيل ..

٤ - شىء ما يحدث ..

نظرات بلهاء يتبادلونها فيما بينهم بلانيَّةٍ للإجابة ..
إذن عليها أن تكرر سؤالها من جديد :
- « أين (سابور) ؟ »
الصمت من جديد .. لكنه الصمت الذى يتكلم ويثرثر ويقول الكثير جدًا ..
يقول - بوضوح - إن مكان (سابور) سرّ لا يجوز البوح به ..
جذبت (عبير) شهيقًا عميقًا إلى رئتيها .. وعادت تكرر السؤال :
- « أين (سابور) ؟ لقد رأيته البارحة عند منتصف الليل .. وكان يفرّ مذعورًا من خطر ما .. واليوم لا أراه فى الصف .. فهل لدى أحدكم فكرة عن مصيره ! »
لم يردّ أحد وتشاغل بعض التلاميذ بالتقليب فى صفحات كراساتهم .. من ثَمَّ أيقنت أنهم يعرفون ..

كلهم ـ هؤلاء الشياطين ـ يعرفون .. لكنهم غير راغبين في إقحام الأجانب في الموضوع ...

★ ★ ★

أين (سابور) ؟

لم تستطع قط أن تنسى نظرة الهلع في عيني الصبي وهو يركض .. ولم تستطع أن تنسى ما هو أقسى : لقد طلب عونها لكنه فرّ قبل أن تقدمه له !

لم يكن لديه وقت لتبين قدرتها على معاونته ...

كانت تفكر في أشياء كهذه حين قرعت الباب بقبضتها ..

- « ها للـ - للو - يا - اااه - ! »

صوت الإنشاد ينبعث من الداخل كعادته عذبًا رقراقًا كنهر (الجانج) .. ثم ينفتح الباب ويبرز وجه الأب (ماكنزى) وهو يعيد تثبيت (المونوكل) في محجر عينه اليسرى .. وينظر لها في دهشة ...

مشكلتها هي أنها تحاول جادة أن تجعله صديقها ، لكنه يأبى إلا أن يعتبر (بعض البشر متساوين أكثر من سواهم) ، ولا يكف عن إحباطها من حين لآخر .. فهو يؤمن أن دور رجل الدين في المستعمرات هو تبرير الاحتلال لا أكثر ولا أقل ..

لهذا أصغى لكلامها فى اهتمام .. وسفَه أفكارها فى اهتمام أكبر .. وقال لها : إن هؤلاء الهنود لهم مشاكلهم الخاصة وعاداتهم التى يجدر بكل إنجليزى يحترم نفسه أن ينأى عنها ...

- « إن من يتحاشى النظر فى المرحاض يوفر على نفسه اشمئزازًا كثيرًا .. »

هذه هى حكمة اليوم التى أخذتها منه .. فشكرته دون حماس .. وانسحبت تاركة إياه يعود إلى الغرفة التى يتردد من داخلها الإنشاد :

- « هالـ - للـ - للـ - يوااه ! »

★ ★ ★

أين (سابور) ؟

قد مضى يومان ولم يظهر الصغير ذو العينين اللوزيتين اللامعتين اللتين لا تهمدان فى محجريهما .. ومن الغريب أن أحدًا لم يقلق أو يتساءل أو يبحث عنه .. ثمة مؤامرة صامتة اشترك فيها الجميع لإنكار وجود كائن حىّ مفعم بالنشاط والذكاء ..

وحين جاء المساء دعتها الخادمة إلى جولة ليلية أخرى فى (دلهى) .. فتحمست (عبير) وتحمست

(سوازن) إلى حدٍ ما .. فالمشهد كان مثيرًا للخيال دون شك فى تلك الأمسية ..

إن (جوتسنا) فتاة لطيفة المعشر .. هندية مائة بالمائة .. ولأنها هندية فهى صموت تكتفى بالابتسام مع رفع الحاجبين ، ولا تقول شيئًا على الإطلاق إلا ما هو ضرورى ..

لكم أحببتها (عبير) ! ربما لأنها مثلها فى عالم الواقع .. تفتقر للجمال .. تعسة .. معدومة الحيلة .. باهتة لا تعلق بالذاكرة ..

لكن (جوتسنا) كانت تعرف الهند .. كانت تعرف بلدها كما يعرف سائق التاكسى وسط القاهرة عندنا .. تعرفها كواحد من (أبناء البلد) القدامى يعرف كل زقاق وكل شارع فى باب اللوق ..

ومشت الفتيات الثلاث فى الشوارع الفقيرة يصغين إلى صوت أحذيتهن إذ تضرب الأرض .. وقد بقى شىء من ضوء القمر الشاحب الذى كان فى قمة رونقه منذ يومين ..

سألت (عبير) خادمتها فى كياسة :

- « لم يظهر أثر لهذا الصبى بعد ؟ »

قالت (جوتسنا) وهى حريصة كدأبها على أن تتبع (عبير) بخطوتين :

- « لا تقلقى عليه يا آنسة .. إنهم يظهرون دائمًا .. »

- « من هم ؟ »

- « المختفون .. دائمًا يعودون لكن بعد زمن .. »

لم تفهم (عبير) حرفًا لهذا آثرت ألا تسأل أكثر ..

صوت نعيق بومة يتردد فى الأجواء ..

هووووووووه !

قالت (سوازن) فى مرح :

- « إنما هذا نحن أيتها البومة ! »

كانت دعابة إنجليزية سمجة .. فالإنجليز يعتقدون أن البومة تتساءل (Who ?) (من ؟) مثلما نعتقد نحن أن الخراف تطلب الماء .. لهذا لم يضحك أحد واحمرّت أذناها خجلاً إذ شعرت بسخفها ..

هووووووووه !

صوت بومة آخر يجاوب من جهة أخرى ..

- « هذا غريب .. لم أظن أن الهند تحوى كل هذا البوم .. »

- « جى بوهوانى !! »(*)

دوّى الصوت من مكان ما من الغرب ..

لم يكن صوت واحد ولا اثنان ولا ثلاثة .. بل هو صوت جماعى عاتٍ له ألف لسان وألف حنجرة ..

لهذا كان طبيعيًا أن تجفل (سوازن) وأن تثب (عبير) مترين فى الهواء .. وحين هبطت كان أول ما قالته للخادمة هو :

- « ماذا يحدث ؟ »

لكن الخادمة كانت فى أسوأ حال .. كانت ترتجف كورقة وقد شحب وجهها فصار بلون القمر ذاته .. وحين استطاعت أن تتمالك روعها أخيرًا قالت وهى تقبض بمخالبها على معصم (عبير) :

- « إنهم داتون ! داتووووون ! »

- « من هم ؟ »

ارتجفت (جوتسنا) وفتحت فاها لتفسر .. لكن قلبها الواهن تخلى عنها للأسف .. وهوت كزكيبة القمح على الأرض ..

(*) تعيش (بوهوانى) باللغة الأوردية ..

انحنت (سوازن) تجس عنق الفتاة فوجدتها حية لحسن الحظ ، لكنها فاقدة الرشد ..

- « لقد فقدت الوعى .. يا لها من بلهاء ! »

فى توجس غمغمت (عبير) وهى تتشمم الهواء حولها :

- « ربما هى تملك سببًا قويًا لهذا .. إننى لا أحب هذا الجوّ .. »

ومن جديد يدوى الصياح :

- « جى بوهوانى !! »

قالت (سوازن) وهى تشير نحو الغرب :

- « إن الصوت قادم من هنا .. »

- ثم نظرت إلى الفتاة فاقدة الوعى وغمغمت وعيناها تشتعلان حماسًا :

- « إن مكروهًا لن يصيبها .. لم لا نذهب لنرى ما هناك ؟ »

قالت (عبير) وهى تحاول ألا تبدو جبانة أكثر من اللازم :

- « ألا تعلمين أن ..... »

★ ★ ★

الفضول قتل القط .. كلهم قالوا هذا ...

★ ★ ★

- « .. القط ؟ »

كان صدر (سوازن) يعلو ويهبط .. وجمرتان من الحماس اشتعلتا على خديها :

- « نحن لسنا قطتين .. إن الأمر يستأهل الفهم .. »

وراحت تزحف ببطء و(عبير) خلفها متجهة نحو مصدر الصياح .. كان ضوء القمر يسمح بعدم التعثر .. لكنهما كانتا تسيران فى أرض وعرة حقًا وكان هناك منحدر صخرى يهبط لأسفل ..

عسير هو الهبوط بهذه الثياب المتأنقة .. إن التنورات تشتبك بالصخور فيكون أمامك خياران : تمزيق التنورة أو تحطيم العنق ..

الأكثر إبهاجًا هو مجموعة من الخرائب تبدو فى الأفق .. فى ضوء القمر .. كأنها نذير بألعن كارثة يمكن أن تصيب كائنًا حيًا ..

إن كل هذا لا يروق لـ (عبير) ..

لكنها مدفوعة بالحماس تواصل اقتفاء خطوات صاحبتها ..

« إن بطولات التاريخ قام بها أشخاص خشوا أن يبدوا جبناء أمام الآخرين .. » من قائل هذه الجملة ؟ غالبًا هو الشيخ (رفعت إسماعيل) في إحدى قصصه .. إنه يتمتع برأي صائب حقًا ..

سألت (سوازن) :

- « هل الصوت حقًا أتى من هذه الخرائب ؟ »

قالت (سوازن) وهي تلهث :

- « حتمًا .. يوجد حشد من المتحمسين في هذا المكان »

- « وماذا يفعلون هنا ؟ »

- « يا له من سؤال .. يتحمسون طبعًا ! »

- « لأي شيء ؟ »

قالت (سوزان) في سأم وهي تواصل التقدم :

- « صدقيني لو كنت أعرف لعدت لغرفتي ونمت قريرة العين .. »

قالت (عبير) في توجس :

- « أنا لا أحب هذا .. لا تنسى أن ...... »

★ ★ ★

الفضول قتل القط .. جميعنا يعرف هذه الحقيقة ..

★ ★ ★

- « ... القط ... »

- « هراء .. دعينا من قططك هذه وتعالى نـدنُ .. فى صمت .. إن الصمت يحتاج إلى ترك الحديث عن القطط الفضولية قليلاً .. »

كان هناك دخان يتصاعد من موضع وسط الخرائب ..

وراحـت الفتاتـان الإنجليزيتـان تتسـللان كقطتيـن فضوليتين ، وقد صار تبين موضع قدميهما مستحيلاً .. كانتا حذرتين كـالقطط .. مشدودتين .. إلـى حـدّ أن صرخةً (سوزان) الحادة القصيرة جعلت (عبير) تثب للوراء مترين وأحست أنها ـ حقًّا ـ كـورت ظهرها وأبرزت أنيابها ومخالبها ..

- « لقد لدغنى ! »

قالتها (سوزان) فى هستيريا وهى تفترش الأرض كاشفةً عن ساقها ..

- « يا للمصيبة ! ما هو ؟ »

- « ثعبان طبعًا يا حمقاء .. وقد زحف بعيدًا على الفور .. هذه هى لعنةُ السير فى الخرائب .. هناك فى كل موضع فأر أو عقرب أو ثعبان ينتظر أن ..... »

وراحت ترتجف ..

كانت (عبير) تعرف ما ينبغى عمله جيدًا فقد رأته فى أفلام سينمائية كثيرة .. لهذا راحت تبحث فى شعرها عن دبوس .. وانحنت لتشرط موضع أسنان الثعبان على ساق صديقتها (وهذا خطأ جسيم علمته السينما للناس) .. ثم ألصقت شفتيها بالجرح وراحت تمتص الدماء وتبصقها (خطأ جسيم آخر) .. وقد ذكرها طعمها الصدئ المميز بمغامرتها القديمة فى (والاشيا) .. بعد هذا فكت حزامها وربطت ساق الفتاة به لتمنع صعود السمّ إلى القلب (وهذا هو الشىء الوحيد الصائب فى كل هذا الهراء) ..

- « هل يمكنك السير عليها ؟ »

- « أعتقد ذلك .. »

- « إذن لنعد .. إن طبيب الحامية يجب أن يرى جرحك .. »

وهنا سمعت صوت البومة يتردد من جديد ..

وعلى الفور ترددت الصيحة التى صارت مملة :

- « جى بوهوانى ! »

قالت (سوزان) وهى تحاول تحريك ساقها برغم ما فيها من خدر وألم :

- « هل هم مجموعة من عَبَدة البوم ؟ »
- « كل شيء جائز في الهند .. »
- « هيا نعد قبل أن يجدونا .. »

وتحاملت لتستند إلى كتف (عبير) .. وكلاهما تفكر في كيفية العودة واتجاهها .. لقد كان الأمر عسيرًا وهما بكامل لياقتهما فكيف تتمكنان من اجتياز كل هذه الصخور الوعرة الآن ؟

لم تطل حيرتهما لأنهما رأيا من يسدّ عليهما الطريق ..

كان يلوح بعصا في يده .....

★ ★ ★

٥ - الملتقى ..

و(عبير) تواصل الفرار جامعة تنورتها الطويلة بمجمع قبضتيها كى تتلافى العثرات .. وألم حاد يمزق صدرها من فرط الجوع إلى الهواء ..

لكنها لا تجد وقتًا كافيًا كى تدلل رئتيها إلى هذا الحدّ ..

إنهم وراءها .. بالحق وراءها ..

وهم يجيدون الركض إجادتهم للقتل .. ويفكرون مثلما يحقدون .. بإصرار وصبر وأناة ......

لكن عقلها المنهك لا يكف عن استعادة الأحداث التى قادتها إلى ما هى فيه الآن ..

★ ★ ★

مثلاً لم تنس الذعر الذى أصابها حين رأت و(سوزان) ذلك الظل الملوح بعصاه يسدّ عليهما طريق العودة ..

شهقت (سوزان) واستندت بظهرها إلى جدار

متهدم لمعبد قديم .. أما (عبير) فاتخذت وضع قتال ياباتيًا من الذى تعلمته من مغامرتها مع (جيمس بوند) .. واستعدت كى تركل المهاجم فى عظمة ساقه لو كان يملك واحدة ..

لكن الشبح تكلم .. وكان صوته صوت أنثى :

ـ « لا تخشيا شيئًا أيتها الآنستان .. أنا (جوتسنا) ! »

لقد أفاقت الحمقاء من إغماءتها إذن ! وتنهدت الفتاتان الصعداء واسترخت (عبير) قليلاً ..

قالت (جوتسنا) معاتبة :

ـ « تركتمانى فاقدة الوعى .. »

ـ « إنما أردنا أن نعرف سر إغشائك .. »

ثم إن (عبير) أشارت إلى ساق (سوزان) وأردفت هامسة :

ـ « لقد لدغها ثعبان .. إنه لمأزق مخيف .. وعلينا أن نعود سريعًا ليراها طبيب الحملة .. »

قالت (جوتسنا) وهى تركع على ساق واحدة لتتفقد الجرح :

ـ « لا وجود للثعابين هنا .. لكن توجد أفاعٍ .. »

ـ « يا سلام .. فارق كبير حقًا .. »



شهقت (سوزان) واستندت بظهرها إلى جدار متهدم قديم .. أما (عبير) فاتخذت وضع قتال يابانيًا من الذى تعلمته من مغامراتها مع (چيمس بوند) ..

ـ « بالفعل .. لكن لدغة الأفعى تحدث نزفًا شديدًا وتورمًا فى مكانها .. وهذا ليس الحال هنا .. أعنى أن الأفعى لم تحقن سمها .. »

وفى ثقة فكت الحزام المحيط بساق (سوزان) .. وعلى الفور بدت علامات الارتياح والخلاص على هذه الأخيرة ..

قالت (عبير) فى توجس :

ـ « آمل ألا ننقاد وراء سعة علمك هذه ، ثم نفاجأ بـ (سوزان) تقول لنا كلمة وداع وتموت ! »

ـ « هذا مستحيل يا آنسة .. » ـ قالت الخادمة فى ثقة :

ـ « .. إن الهنود يعرفون عن الأفاعى قدر ما يعرفه المصريون عن التماسيح ! »

ـ « هذا يطمئننى حقًا ! »

وخطر لـ (عبير) أن العالم كله يظن التماسيح تملأ النيل .. فلا يتصور أحد أنها لم تر تمساحًا فى حياتها إلا على شاشة التلفزيون ..

تساءلت (سوزان) وهى تستريح فوق إحدى الصخور :

ـ « لم نعرف بعد سبب فقدانك لوعيك يا (جوتسنا) .. »

قالت الخادمة وقد زايلها قناع الثقة .. وراحت ترتجف :

- « حين سمعت (جى بوهوانى) .. عرفت أنهم قريبون .. وأن الليلة ليلتهم .. وكان هذا أقوى منى .. »

- « من هم .. ؟ »

- « لا وقت للشرح .. هلما نعد إلى الدار حالاً .. »

هنا أشارت (عبير) إلى الخرائب ..

كان الدخان يتصاعد من بينها إلى عنان السماء .. أزرق كثيفًا كنيبًا .. كان هناك من يشعل النيران وسط هذه الأطلال ..

وكالمسحورات دنت الفتيات الثلاث أكثر .. فأكثر ..

كن يزحفن على بطونهن الآن كالجند فى الخنادق .. وعرفن أنهن فوق بقايا سور قديم متهدم يطل على ساحة واسعة .. يبدو أن هذه الساحة هى فناء معبد قديم من معابد (كالا) أو (شيفا) .. لا ندرى بالضبط .. إن الهند مفعمة بأوثان النساء على كل حال .. وكلهن يملكن ستة أذرع ..

كان ضوء القمر يغمر الساحة بضوء أزرق غامض ،

كأنها إضاءة تسقط فوق مسرح رائع الجمال والإخراج .. أو كضوء القمر حين كان يضيء دراما إغريقية بارعة فى (الكولوزيوم) ..

لكن الروعة والرهبة صنوان !

قشعريرة باردة بل ثلاث قشعريرات باردة زحفت على الأعمدة الفقرية للفتيات الثلاث وهن يرمقن المشهد المهيب ..

كان هناك حشد من الهنود يلتفون حول هندى شيخ شابت لحيته التى استطالت حتى غطت صدره ..

كان جالسًا القرفصاء فوق ملاءة بيضاء ، بينما أحد الهنود يتقدم منه زاحفًا على ركبتيه وقد حنى ظهره .. فى يده اليمنى منديل أبيض وفأس .. ويده اليسرى مضمومة إلى صدره كأنما يقسم قسمًا معينًا لا يمكن الحنث به(*) ..

يقول الهندى ذو اللحية كلامًا كثيرًا لا أول له ولا آخر باللغة الأوردية التى لا تفهم (عبير) ـ وبالتالى نحن ـ حرفًا منها ..

(*) ما ذكر هنا عن الخناقين صحيح تمامًا .. راجع كتاب (مذاهب غريبة) للأستاذ (كامل زهيرى) ـ كتب للجميع (١٢٩) .

ـ « رانـدرات بوهوانـى .. جـى رادهـاه إى راه راندرات ماتهار ! »

فتميل (عبير) على أذن خادمتها تسألها هامسة :

ـ « ما معنى كل حروف الراء هذه ؟ »

ـ « صه .. سأفسر لك كل شىء حين نبتعد .... »

ـ « صه ؟! »

قالتهـا (عبير) فـى اسـتنكار .. إن للعلـم مكانـة اجتماعية حقيقية .. ولولا معرفة الخادمـة باللغة لما سمحت لها (عبير) أن تقول لهـا (صـه !) هذه .. لكن العلم ـ تلقائيًا ـ أعاد الترتيب الطبقى لهذا الثالوث ، بحيث صارت الخادمة هى الأفضل والأقوى شخصية .. ولـم يعد لـدى (ملدريـد) و (سـوزان) سـوى أن تخرسا ..

هووووووه !

صوت البومة يدوى من جديد ..

وكمـا توقعت (عبير) دوى صراخ الحشد للمرة الألف تقريبًا :

ـ « جى بوهوانى ! »

ولكنهـا الآن تسمـع الصـراخ عن كثب ، وتـرى

علامات البشر والسرور على الوجوه .. فتعرف ـ يقينًا ـ أن هؤلاء القوم على نقيض البشر جميعًا يتفاءلون بصوت البومة !

رأت هذه المرة الشيخ ذا اللحية ينهى محاضرته الطويلة ، فيتقدم الهندى الشاب الذى قررت أن تسميه (الحالف) ليقسم أن يفعل شيئًا ما ..

ثمة قطعة من سكر أحمر فى يد الشيخ (متلقى القسم) يناولها لتلميذه (الحالف) .. ثم يتناول قطعة مماثلة يرميها فى حفرة أرضية ..

وتتصاعد صيحات القوم .. إما أنه نوع من الدعاء أو نوع من السباب .. فكلا العملين يمارسان بذات الحماس حين يتعلق الأمر بآلهة وثنية !

وعلى القوم تدور الكئوس .. كئوس هندية غريبة الشكل يبدو من لونها أنها لا تحوى سوى الماء القراح ..

أما آخر وأغرب ما يحدث فهو أن يُخرج الرئيس أو (متلقى القسم) حبلاً من جعبته .. حبلاً غليظًا أنيق الشكل يقدمه لـ (الحالف) الذى يتلقفه كأنما يتلقف نفحة سماوية عذبة ..

ويسود المرح فيما عدا صيحات تتردد من بعض المتحمسين الذين لا ينسون بسهولة :

- « جى بوهوانى ! »

هنا همست الخادمة للفتاتين المذهولتين كأرنبتين :

- « إن ما رأيناه مذهل .. ولا يراه المرء إلا مرة فى حياته لو حالفه الحظ .. هلما نعد قبل أن يشعروا بنا .. »

تساءلت (سوزان) فى حماس وصدرها يعلو ويهبط :

- « هل .. هل هم خطرون ؟ »

قالت (عبير) محنقة :

- « لا يبدون لى لطيفى المعشر كالأطفال .. إن الطقوس الغامضة تعنى الشؤم دائمًا .. »

- « رائع !! »

كانت الشجاعة قد بدأت تفارق الخادمة من جديد .. وعاودها ذعرها الأبله السابق .. وكان تفسير ذلك واضحًا .. لقد كان الفضول أقوى منها .. أقوى من أى ذعر أو توجس أو تطير ..

أما الآن فقد رأت ما يكفى ..

ولم تعد تريد سوى الفرار ..

★ ★ ★

لكن الأمـور لا تسير بهذه السلاسـة فى حياتنـا .. وإلا ما قتل الفضول القط كما يقول الجميع ..

الواقع أن الأمر بدأ كنوع من الهـاجس العـام وسـط الجمع .. ثم إن بعضهم راح يشير فى شك مستريب نحو الأطلال ..

وبدأت أصـوات الاحتجـاج والحنـق تتصـاعد مـن الحناجر ..

وازدادت الأصـابع التـى تشـير فـى اتجـاه بطلاتنـا الثلاث ..

- « ويلى ! إنهم يشيرون نحونا ! »

قالتهـا (سـوزان) وهـى تـتراجع للـوراء دون أن تبعد عينيها عن الجمع الذى بـدأ يزداد ثورة .. كأنـه عش زنابير مددت يدك فيه ..

قالت الخادمة وهى تقف متصلبة وشفتاها ترتجفان :

- « إنه ظلنا ! لقد رأوا ظلنا ! »

- « هذا حق .. إن القمر خلفنا .. وقد ارتسم ظلنـا واضحًا على أرض الساحة .. كيف لم نلحظ هذا ؟ »

لأننا حمقاوات يا عزيزتى (سوزان) .. لأننا حمقاوات ..

أجابتها (عبير) فى سرّها لأنها لم تجد الوقت الكافى لتحويل الأفكار إلى كلمات ..

إنهم قادمون ..

قادمون ولا ريب .....

★ ★ ★

٦ - إنهـــم يعرفـــون ..

الفرار .. الفرار !

تهرع الفتيات راكضات بين الخرائب ، واثبات حيث ينبغى السير .. سائرات حيث ينبغى الوثب ..

ثلاثة أرانب مذعورة اقتحم الصياد خدرها .. أو ثلاث هرّات خائفة يعوى كلب الحىّ فى إثرها ..

ولم يعد هناك مجال للتعقل بل الذعر غير المُمَنْطق ..

وراءهن يعوى طوفان البشر الحانق الغاضب .. الذى دنّسن مقدساته بشكل ما .. طوفان سيمزق ويدوس ويذبح ..

تقول (سوزان) شيئاً ما عن عدم قدرة هؤلاء القوم على إيذاء مواطنتين من رعايا التاج ..

فتردّ عليها (عبير) لاهثة بأنها تتساءل عما إذا كان هؤلاء القوم قد سمعوا عن التاج البريطانى أصلاً ..

احترسى من هذه الصخرة يا (سوزان) !

شكرًا .. احترسي يا (ملدريد) بدورك من هذا الجدار .. إنه جزء من سور عال وراءه هاوية !

هل احترست ؟ لا ؟ يا للكارثة !

لقد كانت ساقاك أسرع من سمعك .. وكان سمعك أسرع من تفكيرك .. للأسف !

هأنتذى تسقطين وراء هذا السور صارخة .. صرخاتك أعلى من صرخات هؤلاء القوم الغاضبين الذين نجهل كل شىء عنهم .. و (سوزان) تتراجع فى هلع لترمق الهاوية باحثة عن جثة صاحبتها المهشمة فى ضوء القمر .. فلا تجدها ..

أين هى ؟

ها هى ذى (ملدريد) - أو (عبير) - تتعلق بالحافة بكلتا يديها ، وهى تبحث جاهدة عن جذور سحلية فى شجرة أجدادها كى تعينها الغريزة على التشبث بمكانها ..

همست (سوزان) وهى تركع على الحافة :

- « تشبثى جيدًا ! إننى سوف .. »

سوف ماذا ؟ هى لا تعرف ما ينبغى عمله ..

أولاً ينبغى أن تثب عائدة إلى الناحية الأخرى من

الهاوية .. ثم تدلى بحبل إلى مستوى صاحبتها .. ثم تبدأ فى جذبها ..

طبعًا لا يوجد حبل .. ثم هى لا تملك ـ ولا (عبير) تملك ـ القدرة على جذب حبل كهذا ..

إنه لمأزق .. مأزق بحق ..

الصخب يتعالى من الحشد الذى يبحث عن الفتيات وسط هذه الخرائب ..

هوووووووه !

صوت البومة يدوى فى الأرجاء .. لكن واحدًا من القادمين لم يصح (جى بوهوانى) لأنهم كانوا منهمكين فى الصراخ الغاضب ..

يدا (عبير) تنزلقان عن الحافة ببطء ..

(سوزان) تنظر وراءها ثم أمامها :. وتبكى فى عجز ..

هووووه !

صوت القوم يدنو أكثر .. سيبدءون بإنقاذ (عبير) ثم يفتكون بالفتاتين أو الفتيات الثلاث إذا ما كانوا قد وجدوا (جوتسنا) لحسن حظهم ..

يدا (عبير) لم تعودا تتشبثان تقريبًا بشىء ..

هنا اتخذت (سوزان) الحل الوحيد الذى وجدته صائبًا .. الحل الجدير بآنسة من الإمبراطورية التى لا تغرب عنها الشمس ..

أطلقت ساقيها للريح !

مهلاً ! لو أعدنا تأمل هذا القرار دون تعصب لوجدناه معقولاً إلى حدٍّ ما .. إن (عبير) مقضى عليها .. فما جدوى الموت معها ؟! ولو كان البقاء جوارها يفيدها لجاز لنا الحكم على هذا التصرف أخلاقيًا .. لكن ما من قوة يمكنها إنقاذ (عبير) .. ولربما كان من الصواب أن نحفظ روحًا إنجليزية ما دمنا عجزنا عن إنقاذ روحين .. تفكير عملى صائب .. وبتفكير كهذا استطاعت انجلترا أن تحكم نصف العالم فى يوم من تلك الأيام ..

نعود لـ (عبير) المعلقة فى وضعها اليائس ..

لا جدوى من المحاولة ..

لا جدوى من الأمل ..

هووووووه !

هنا نتحدث عن تقنية فنية رديئة نوعًا ، ينوى المؤلف أن يستعملها هنا للأسف لأنه لا يوجد سواها :

تقنيةَ (إلاله من الآلة) التى تعلمناها من المسرح اليونانى القديم(*) ..

إن المقام لا يناسب شرحها بالتفصيل .. لكنها قائمةَ على إيجاد الحلّ للمعضلة فجأة وبلا تمهيد له .. وللمولعين بالمصطلحات نقول إن الرواةَ يسمون هذه الطريقة (طريقة المظلة تحت المقعد) .. ويسميها السينمائيون (أسلوب جريفث فى الإنقاذ على آخر لحظة) ..

لهذا .. اسمحوا لى أن أقحم يدين قويتين فى المشهد ..

نعم .. يدان قويتان أمسكتا بمعصمى (عبير) فى اللحظة الأخيرة .. وشعرت بأنها ترتفع لأعلى ببطء ثم تهبط على الحافة سالمة ..

وحين استجمعت أنفاسها اللاهثة فى ضوء القمر وجدت أنها ترمق وجهًا مألوفًا .. وجهًا رأته بوضوح منذ أيام ...

(*) الإله من الآلة : كان من دأب المؤلفين اليونانيين القدامى حين تتعقد أحداث المسرحية ويصعب إيجاد حلَ لها ، أن يضعوا ممثلاً فى سلة متحركة آليةَ يهبط من السماء ليحل عقدةَ المسرحية كأنه إله .. والتعبير يعنى (الحل المتعسف للعقدة) ..

إنه (قمست) ...

المشعوذ الذى بهرها بألعاب الحبل فى السوق ... لقد أنقذها ..

★ ★ ★

عيناه السوداوان بارعتا الجمال تلتمعان فى ضوء القمر البارد .. لكن لا علامةَ على الرقةَ أو الهزل فى وجهه .. وجه جاد خطر .. يقول لها وهو يتلفت حوله متوترًا :

ـ « هلمى ! اختفى ! »

تقول له وهى تحاول الوقوف على قدمين رخوتين :

ـ « لكن .. من هؤلاء ومن أنت ؟ »

من جديد يهتف فيها بذلك الصوت الهامس الصارخ الغريب :

ـ « لا وقت للشرح .. أنت لم ترينى سأعتمد على وعد شرف منك أن تغفلى ذكرى من أى سرد للقصة .. هيا ! »

وتطلق (عبير) ساقيها للريح ..

فى أى اتجاه بالضبط ؟ إلى أين ؟

إنها قد ضلت الطريق ..

لكنها تسمع صفير (قمست) الهامس (غريب أمر هذا الهمس الذى يسمعه الجميع) .. وتراه مُدثّرًا بالظلام يشير إلى اتجاه ما :

ـ « وس س س س ! من هنا ! »

من جديد يعادو إنقاذها ..

لكن لا وقت لتوجيه عبارات الشكر له على كل حال ..

تنطلق (عبير) سابقة ظلها على الأرض ، وتتعثر مرارًا وتسقط مرارًا فى حفر لا نهاية لها .. وبقايا تماثيل ..

إن إمبراطورية المغول فى الهند لم تكف عن نثر آثارها فى طريق الهرب الخاص بها ..

لكنها الآن تشعر بالأمان .. وتشعر أنها تمشى فى قطاع مألوف من (دلهى) .. هذه الشوارع القذرة الضيقة .. والأوحال .. وحتى لدغات البعوض التى ألفتها .. كلها أشياء تشعرها أنها قد عادت إلى عالمها الذى تعرفه حقًا ..

كانت فى حالة مزرية من القذارة والذعر والتبعثر حين وصلت إلى مسكن المعلمات .. وهناك كانت



تنطلق (عبير) سابقة ظلها على الأرض ، وتتعثر مرارًا وتسقط مرارًا فى حفر لا نهاية لها .. وبقايا تماثيل ..

(سوزان) والخادمة جالستين فى الضوء المتراقص لمصباح ، وهما لا تقلان سوء حال ولا تشعثا عنها .

وكانت (سوزان) قد كشفت الثوب عن ساقها الملدوغة ، وأراحتها على مقعد أمامها على حين راحت (جوتسنا) تغسل الجرح بالماء والصابون ..

فما إن رأت (سوزان) صاحبتها حتى هتفت فى لهفة :

- « شكرًا للسماء ! أنت بخير يا (ملدريد) ! »

قالت (عبير) وهى تجرجر جسدها المنهك إلى الأريكة :

- « نعم .. لسوء الحظ .. كى لا أخفى رأيى فيك ! »

- « أوه ! لو كنت مكانى لفعلت ذات الشىء .. إن موتى معك ما كان ليفيد التاج فى شىء .. »

ثم استرخت من جديد فى جلستها وتساءلت :

- « لكن كيف نجوت ؟ لقد بدا لى الموقف منتهيًا .. »

- « نعم .. كنهاية الفيلم السينمائى حين يغادر الناس القاعة قبل ظهور كلمة (النهاية) .. »

- « عم تتحدثين ؟ (سينمائى) ماذا ؟ »

هزت (عبير) رأسها وهى تطوح بحذائيها فى ركنى الغرفة :

ـ « لا عليك .. إننى أهرف بمالا أعلم .. »

من الصعب إفهامها معنى (فيلم سينمائى) قبل اختراعه بقرن أو أكثر .. المهم الآن أن نفهم مغزى هذا الذى رأيناه ....

عاودت (سوزان) السؤال فى إلحاح ممل :

ـ « كيف نحوت ؟ »

ـ « أوه .. لقد أقسمت أن ألتزم الصمت ولا أنوى الحنث بذلك .. والآن أريد منك شرحًا تفصيليًا وافيًا أى (جوتسنا) الوفية .. من هؤلاء ؟ وهل كانوا يريدون إيذاءنا حقًا ؟ »

هنا تدخلت (سوزان) طالبة المزيد من الإجابات :

ـ « وماذا كانوا يقولون ؟ »

بدا التردد على (جوتسنا) ..

وأدركت الفتاتان أن خوف الهندية من الكلام يفوق الخوف العادى .. حتى غدا نوعًا من التطير يغدو معه الحديث ـ مجرد الحديث ـ مكروهًا .. كما كان الأوربيون يسمون الدرن باسم (المرض ذو الاسم الكريه) .. ونسمى نحن السرطان (المرض الذى لا يُسمَى) ..

- « حاولى أن توضحى يا (جوتسنا) .. فنحن فى الظلام .. »

قالت (جوتسنا) بصوت كالفحيح وهى تحدق فى لهب الفانوس المتراقص :

- « إن ما سأتحدث عنه هو الظلام ذاته ! »

وبدأت تتكلم بصوتها الرتيب الهادئ ...

وكان ما قالته غريبًا ....

★ ★ ★

٧ - الخنّــاقــون ..

(عبير) لم تكف عن الركض ..

ولم تكف عن استعادة شريط الأحداث المروّع الذى قادها إلى هذه اللحظة .. وهى راغبة حقًا فى معرفة عدد من يقتفون أثرها لكنها لا تجرؤ على النظر للوراء .. إنها أذكى من ذلك ..

إن من ينظرون للوراء فى أثناء مطاردتهم يتعثرون دومًا .. يتعثرون أو يتلبسهم الهلع الحيوانى الذى يشل قواهم ..

وفى سرها تساءلت : متى ينتهى هذا الكابوس ؟ متى تفلت من قبضة الـ ......

★ ★ ★

- « الخناقون ! »

قالتها (جوتسنا) بلهجة من يقرّر حقيقية لا جدال حولها ..

تساءلت الفتاتان فى حيرة عن مغزى الكلمة :

ـ « الخناقون ؟ »

ـ « نعم الذين يخنقون الناس .. »

ـ « وهل هذه مهنة أو هواية تميز قطاعًا من البشر ؟ »

ـ « نعم .. إن الخناق الذى يحترم نفسه يخنق فى العادة حوالى مائة رجل طيلة حياته ! »

ـ « فهمت .. وهل يفعل هذا ليشعر بالسرور ؟ »

ـ لا .. إنه مذهب دينى مذهب خاصٌ بالهند ..

وفى صبر راحت (جوتسنا) تحكى للفتاتين الإنجليزيتين المبهورتين كل شىء عن هذه الحقيقة التى يعرفها كل هندى ..

(الخناقون) ـ قالت ـ هم طائفة دينية تمارس عقائدها سرًا .. وإن كان الناس جميعًا يعرفون أمرها ..

تقول الأسطورة الهندية الوثنية إن الحياة تتنازعها إلهان .. واحد مسئول عن الحياة واسمه (فشنو) .. وواحد مسئول عن الدمار اسمه (سيوا) .. وهما ـ على ما يبدو ـ مماثلان لـ (أوزيريس) و (ست) عندنا نحن المصريين ..

كاد الأخ (فشنو) يقهر خصمه (سيوا) لولا أن

تدخلت مدام (سيوا) الشهيرة لـدى الهنـود باسـم (كالى) ..

قـامت السـيدة الفاضلـة بـالهبوط إلـى الأرض ، وصنعت لنفسـها صنمًـا ثم أوصت من يعبدون هـذا الصنم بأن ينتشـروا فـى الأرض ويخنقـوا كـل مـن يقابلونه !

جدير بالذكر أن (كالى) هـى نفسـها (بوهوانـى) كما يدللها الخناقون من عبدتها .. وجدير بالذكر كذلك أن هذا الصنم لـ(كالى) موجود اليوم فى (دلهى) .. فى المتحف .. بالطبع لـم تقـل (جوتسنا) هذا لكننـا نذكره للمهتمين بهذا الكلام الفارغ ..

لماذا نخنق الناس ؟

يؤمـن الخنـاقون أن الحيـاة شـقاء وشـر .. وأن الموت هو الباب الملكى إلى السعادة السرمدية ..

والخنق له مزية مهمـة هـى عدم إسالة الدمـاء .. فمشكلة الذبـح والطعن هى أنهمـا يتركـان الضحيـة غارقة فـى بركـة مـن السـائل الأحمـر .. وهذا يجعـل عودتها ـ الضحية ـ إلى الحياة حتميـة .. ممـا ينتفـى معه الهدف الجليل من الخنق أساسًا ..

والخناقون قوم يؤمنـون بـالتطير .. لهذا يتفـاءلون عند سمـاع صـوت البوم ـ كما حدث فى ليلتنا هذه ـ ويتشاءمون من صوت بنات آوى .. وهم على عكس العرب فى الجاهلية يتفـاءلون إذا طـار الطـائر إلـى اليسار باعتباره (طيرًا سانحًا) ..

ولمـا كـانت (كـالى) معبودتهم أنثى فهم يعفـون النسـاء من الخنق .. ويعفـون ـ لأسبـاب معقدة فى أذهانهم ـ بعض الطوائـف من الخنق مثل الشحاذين والغسـالين والموسـيقيين وبـائعى الزيـت والحداديـن ومرضى البرص ..

ـ « لهذا يميـل الهنـود فى (دلهى) .. » ـ تقول (جوتسنا) ـ « .. إلى ممارسة هذه المهن أكثر من سواها .. لأنها تعطيهم حصانة ضد الخنق .. »

قالت (عبير) وعيناها تلتمعان بالانبهار :

ـ « إذن لن يجد الخناقون من يخنقونه .. »

قالت (جوتسنا) فى نبرة هادئة :

ـ « لكـن هذا يحـرم النـاس من وجـود طبيب أو جندى أو تاجر .. لايمكن أن تقوم مدينـة علـى أكتـاف الشحاذين وبائعى الزيت وحدهم .. »

ـ « فهمت .. أكملى ... »

قالت (جوتسنا) وضوء المصباح المتـراقص يكسب ملامحها سحرًا لم يكن هنالك وقت الصباح :

ـ « بقى أن أقول يا آنستىّ إننا دنونا ـ بطريق الخطأ ـ من اجتماع مهم لهم .. اجتماع يتم تنصيب عضو جديد فيه .. »

تثاءبت (سوزان) فقد انتهى الهزيع الثانى من الليل وسألت وهى تتخذ وضعًا على الأريكة هو للنوم أقرب :

ـ « حسن .. ماذا كان ذلك الشيخ يقوله بالأوردية ؟ »

قالت (جوتسنا) :

ـ « كان يوصى المريد الجديد بأن يخنق الناس .. وألا يذبحهم .. ثم كان يطلب علامات الرضا من (بوهوانى) .. »

ـ « أى صوت صياح البومة ؟ »

ـ « نعم .. إن هذا يدل على أن (بوهوانى) قد قبلت العضو الجديد .. بعد هذا أقسم العضو الجديد نفسه على أن يمنح حياته كلها من أجل (بوهوانى) ..

ومنحه الرئيس حبلاً مبللاً بالزيت والماء المقدس كى يبدأ ممارسة الخنق ! »

- « حبل بالزيت ؟ ليس أى حبل صالحًا إذن ؟ »

- « إن التقاليد هى ما يجعل الحياة محترمة .. »

استندت (عبير) بخدها على قبضتها وتساءلت :

- « إذن هى المرة الأولى التى ترين فيها هذه الطقوس ؟ »

- « حتمًا .. إن أحدًا لم يظل حيًا بعد مشاهدتها إلا من هو عضو فى الجماعة .. أنا أعرف أنهم يجتمعون غربًا فى مكان ما وسط تلك الخرائب .. لكن هنديًا لا يجرؤ على الذهاب إلى هناك مهما بلغ به الفضول .. »

تساءلت (عبير) من جديد :

- لكن الخطر لم يتهددنا بالتأكيد .. »

- « لا أدرى ما يجعلك واثقة من هذا .. »

- « ألسنا نساء ؟ قلت إنهم لا يقتلون النساء .. »

ابتسمت الخادمة فى مودة .. وقالت :

- « نعم .. لايقتلونهم خنقًا ! وعلى كل حال لقد كان تدنيسنا لمقدساتهم سببًا كافيًا كى يخرقوا هذه

العادة .. وإننى لمسرورة حقًا لأننا أحياء فى هذه اللحظة .. »

عادت (سوزان) ترمق (عبير) فى شك .. وكررت سؤالها :

- « ألن تخبرينى كيف نجوت ؟ »

- « هذا سؤال أرجو إعفائى من إجابته .. »

هنا قاطعتهما (جوتسنا) فى حماس وقد تذكرت شيئًا :

- « إن أعضاء هذه الجماعة بيننا .. وسطنا .. لكنهم يبدون كالآخرين ويمارسون حياة عادية إلى أن يجد أحدهم الفرصة سانحة كى يخنق ضحية أخرى .. يقال إنهم ألف فى (دلهى) .. وآلاف فى (حيدر آباد) .. منهم المعلمون والأطباء ورجال الشرطة و ...... »

قالت (عبير) شاردة الذهن وهى تتأمل اللهب :

- « والمشعوذون فى الأسواق ! »

- « أحقًا ؟ هل تعرفت أحدًا ؟ »

- « كلا .. كنت أضرب مثلاً لا أكثر .... »

ثم رفعت عينيهـا المذعورتيـن إلى (جوتسنـا) وسـألتها ضاغطـة علـى كـل حـرف مـن حـروف سؤالها :

ـ « والآن ما رأيك ؟ هل سيجدوننا ؟! »

....

★ ★ ★

٨ - خطـــــر ..

لا .. لا أعتقد ذلك ..

إن احتمال أن يكون الخنـاقون قد تعرفونـا ـ دعك من أن يجدونـا ـ هو احتمـال شبه معدوم .. لقد كـان الظلام دامسًا والمسافة بعيدة وهروبنا سريعًا .. هم رأوا ثـلاث فتيـات منهـنّ اثنتـان أوروبيتـان .. فكم إنجليزية فى (دلهى) اليوم حتى يعرفوا شخصياتنا ؟

قالت (عبير) وهى غير مرتاحة لهذا التسطيح :

ـ « لكننى و(سوزان) معلمتان .. وشهيرتان إلـى حدّ ما .. أنـا لا أمشـى فـى شـارع إلا وألقـى ثلاثـة أو أربعة من تلاميذى .. »

قالت (جوتسنا) فى ثقة :

ـ « الإنجليزيات يتشـابهن لـدى الهنـود .. كلهن يرتدين ثوبًا طويـلاً وقبعـة وكلهن شـقراوات الشـعر ثقيلات الظل ! »

لم تجد (عبير) وقتًا للإجابة على هذه الإهـانة ..

ولم تجد حافزًا كافيًا ؛ لأنها لا تعتبر نفسها إنجليزية حقًا لهذا سألت سؤالاً جديدًا :

- « هل نبلغ السلطات الإنجليزية بما حدث ؟ »

- « الاختيار لكما .. لكنى أؤكد لك يا آنسة أن الإنجليز يعلمون كل شىء .. وهم يؤثرون الابتعاد عن الأمر كله باعتباره مجلبة للمتاعب لا أكثر .. لن يهتموا بالموضوع إلا يوم يموت أول جندى بريطانى .. عندها ستقوم الدنيا ولن تقعد حتى يتم إعدام آخر خناق رميًا بالرصاص فى ميدان (ممتاز آباد) .. »

- وبعد تردد أضافت :

- « ثم إن الكلام سيجلب علينا انتقام الجماعة .. »

- « إذن نخرس ؟ »

فى أدب أمنت (جوتسنا) على كلامها :

- « نعم يا سيدتى .. نخرس إذا سمحت لى .. »

هنا تدخلت (سوزان) وقد تذكرت شيئًا :

- « إن لهذه الجماعة دورًا فى اختفاء ذلك الصبى الهندى .. لقد نسيت اسمه .. »

- « (سابور) .. إن الخناقين لا يقتلون الأطفال .. لكنهم يخطفونهم ويعلمونهم كيف يكونون مثلهم! »

كان لون الفجر الوردى قد بدأ يتسرب من وراء الستائر وانصرف البعوض ليهجع ويهضم كل ما فى أحشائه من الملاريا وداء الفيل ..

تثاءبت (سوزان) حتى بدا وجهها كوجه فرس نهر يغفو عند منابع النيل .. وقالت وهى تحاول النهوض :

ـ « لا جدوى من محاولة النوم .. إن يومًا دارسيًا شاقًا ينتظرنا ! »

ـ « هذا غير رحيم ! »

لكن التذمر لا يجدى ..

إن الأعذار هى آخر ما يمكن أن يقال لمستر (إيمرسون) ..

★ ★ ★

وهكذا ...

راحت (عبير) تحكى للأطفال الهنود حكاية إنجليزية طويلة عن عظمة (بريطانيا) .. ومجد (بريطانيا) .. ونبل (بريطانيا) ..

كان النعاس والإرهاق يقتلانها ، وأضاف سخف الكلام إلى تعاستها تعاسة توشك أن تتحول إلى غثيان صريح ....

كان هذا حين طرق الباب .. فصاحت فى حزم :
- « ادخل ! »
كان الطارق صبيًا هنديًا رقيقًا عارى الجذع إلا من مئزر صغير ، وعلى رأسه عمامة عالية .. تقدم منها فى ثقة وناولها قصاصة من الورق ثم رحل قبل أن تفهم المزيد منه ..
فى توجس فتحت القصاصة .. بالتأكيد يوجد بها ما يتعلق بمغامرة البارحة .. هذا حدسها .. وقد تعلمت منذ زمن أن تعامل حدسها معاملة اليقين .. كانت الكلمات مسطرة بحروف لاتينية ساذجة كأنها بخط تلميذ من تلاميذها .. لكنها مقروءة :
- « خذى الحذر .. إنهم يعرفون .. »
ثم بخط أكثر رداءة عبارة لم تجد لها فى البداية معنى :
- « رَجْمتُك ! »
وتحت العبارة وضع الكاتب عدة خطوط ليدلل على أهميتها .. استنتجت - دون وعى - أنه كتب لفظة حزام belt مستعملاً حرف الباء الثقيل Pelt بمعنى (رجمة) ..



كان الطارق صبيًا هنديًا رقيقًا عارى الجذع إلا من مئزر صغير ، وعلى رأسه عمامة عالية ..

هذا خطأ لا يقع فيه إنجليزى .. لكن المصريين ـ والهنود طبعًا ـ وسواهم يرتكبونه كثيرًا ... إذن كاتب الخطاب هندى ..

ما معنى هذا الكلام عن الحزام ؟

هل هناك حزام فى الموضوع ؟

هل ...... ؟

★ ★ ★

وفى ثقة فكت الحزام المحيط بساق (سوزان) .. وعلى الفور بدت علامات الارتياح والخلاص على هذه الأخيرة ..

★ ★ ★

نعم .. إنها تتذكر الآن ..

الحزام الذى نسيته وسط الخرائب فى تلك الليلة الرهيبة ..

لقد كان الحزام أنيقًا ومميزًا جدًا .. إن أى حزام يحمل حرفى (م . هـ) ـ وهما أول حرفين فى اسمها ـ لهو حزام مميز جدًا .

بقليل من الجهد يمكن معرفة الإنجليزية التى يبدأ اسمها بحرف (ميم) .. ويمكن معرفة أية فتاتين من

نساء الحامية البريطانية لم تبيتا فى المسكن البارحة ..

كل هذا سهل ...

ويتحول المشهد .. الصف .. وجوه التلاميذ إلى صورة رقراقة كانعكاس وجوهنا فى نهر ألقى فيه حجر ثقيل ..

معنى هذا أن الخطر دانٍ حقًا .. وأن هؤلاء الوثنيين - عبدة (كالى) - قادرون على الوصول إليها ....

وفى رعب غمغمت :

- « (دى - جى - ٢) .. أنا لا أحب هذه المغامرة كثيرًا .. لم لا تنهيها الآن ؟ أنا أعرف أن مغادرة القاعة فى أثناء العرض مستحيلة .. لكننى أطلب استثناءً واحدًا .. »

لكن (دى - جى - ٢) لم يكن ممن يتهادنون .

★ ★ ★

هرعت (عبير) إلى مكتب المستر (إيمرسون) .. طرقت الباب ودخلت قبل أن تُدعى إلى الدخول ..

وكان الرجل واقفًا وظهره إلى الباب يرمق الخريطة العملاقة على الجدار .. وغليونه فى يده لا يمسه كالعادة ....

وحين تنحنحت فى كياسة .. همهم هو فى وقار دون أن يستدير ..

فقالت :

ـ « ثمة ما أريد إبلاغك به يا سيدى .. »

ـ « ليس الوقت ملائمًا يا مس (هولرويد) .. فأنا .. أتامل .. »

ـ « إنه لأمر عاجل يستأهل مناقشته فورًا .. »

وهكذا راحت (عبير) تحكى ما حدث للرجل ..

لم يقاطعها لكنه ـ مرة أو مرتين ـ جرّد عينيه الزرقاوين النفاذتين من غمدهما ليتأملها باهتمام .. ثم أعادهما إلى ماتحت حاجبيه الكثين .. وحين فرغت من الكلام كان أول ما قال هو :

ـ « حماقة ! »

وراح يذرع الغرفة جيئة وذهابًا فى عصبية .. مرددًا :

ـ « حماقة ! »

وتوقف ليشعل غليونه قائلاً بصوت رصين :

ـ « أنت وصاحبتك .. قلت لى ما اسمها ؟ »

ـ « (سوزان) .. أ .. مس (أونيل) .. »

- « مس (أونيـل) هذه .. لقد قارفتمـا جريمـة التدخل فى معتقدات الوطنيين الدينية .. وهذا هـو أول خطأ ينبغى على الإمبرياليين ألا يرتكبوه .. »

- « لكنها لم تكن مقصودة يا سيدى .. »

- « النتيجة واحدة وهى جرح الشعور الوطنـى .. وهذا يجعل أبناء المستعمرات يجنون حقًا ويفعلون أى شىء .. لقد تعلم جنودنا منذ زمن معنى ذبح بقرة فى حىّ هندوسى .. أو إطلاق الرصاص على جدران مسجد فى حىّ إسلامى .. لا بد من شعب يتبع هذا الخطأ .. »

- « لكن الخناقين ليسوا دينًا وطنيًا .. إنهم أقرب إلى عصابة من السفاحين .. »

- « إن عش الدبابير يجب أن يُترك وشأنه .. »

ثم غمغم وهو يعاود إشعال غليونه :

- « سأرى ما يمكن عمله مع الجنرال (كينزبورو) .. سأتأكد من أن حماية خاصة لكما قد تم ترتيبها :

تأملت (عبير) الغليون فى دهشة .. إنها لا تفهم بعد كيف يدخن الناس الغلايين .. فهى لا تراهم إلا فى محاولات لا تنتهى لإشعالها أو تنظيفها .. ولم تر أحدًا يدخنها حتى هذه اللحظة ..

لكنها لـم تتمـاد فى هذه الخواطر لأنهـا عرفت أن المقابلة قد انتهت .. وأن الرجل عـاد يمـارس أحلامـه الاستعمارية أمام الخريطة ..

كان الظهر قد ولّى حين عادت إلى حجرتها ، وكـان الحرّ خانقًا كمـا هـى العـادة .. هـذا الحـرّ الهنـدى الغريب .. حين تشعر بأنك تحولت إلى كتلة من الهلام الساخن اللزج المثير للاشمئزاز ..

جرعت عدة أكواب مـن المـاء الذى غلتـه الخادمـة وعصرت عليـه بعض الليمـون (وهـى الطريقـة المضمونـة حتى اليوم للنجاة من الكولـيرا) .. ثـم غاصت فى فراشها تحلم .. تحلم بـالقطب الشـمالى وجبـال الجليد ، والدببـة البيضـاء التى تنتظـر جـوار البحيرات الذائبة حتى تخرج الفقمة رأسها عندئذ .....

★ ★ ★

وحين فتحت عينيها كان ضوء الغروب الأرجوانـى يملأ المكان .. وعلى الفراش المجاور رقدت (سوزان) والإنهاك باد على أطرافها المبعثرة فى كل صوب .. لقد كانت ليلة قاسية ونهارًا شاقًا على كلتيهما ..

ـ « (سوزان) .. إنه الليل .. »

البعوض قد بدأ يمارس واجباته الشرسة فى أرجاء الحجرة .. صحيح أن هناك (ناموسيَّة) فوق فراشها لكنها ملأى بالثقوب ..

سمعت (سوزان) تهمهم فى وهن .. فنهضت لتزعجها أكثر ..

وأخيرًا فتحت الفتاة عينيها وتأملت الكون فى غباء ..

- « أين نحن ؟ »

- « إنها غرفتنا .. لقد نمنا خمس ساعات متواصلة ! »

- « إذن مازلنا نحتاج إلى ثلاث ساعات أخرى ! »

قالتها وواصلت النوم مع صوت شخير محبب للنفس ..

الحمقاء ! سيكون عليها أن تواجه ليلة أرق مضنية ، بعدها يبدأ يوم آخر شاق .. إن يوم الأحد - الأحد الجميل - يوم الإجازة مازال بعيدًا جدًا .. ربما بعد شهر أو شهرين .. ربما أكثر ..

وهكذا لم تجد (عبير) مندوحة من مغادرة الفراش .. والخروج إلى الردهة حيث اتجهت إلى

قاعة الطعام .. كان على المائدة بعض الموز والمانجو .. إنها تحب المانجو لكنها تعتبره ورطة حقيقية .. وليس الوقت مناسبًا للغرق فى بركة من السائل الأصفر اللزج الحلو .. إذن الموز أفضل ..

بدأت التهام موزة .. حين ...

أو غ غ غ ! غررررررر !

صوت غريب حقًا .. شبيه بصوت الغرغرة ...

هناك من يتغرغر .. ولكن لماذا ؟ وما سر هذا الحماس المفاجئ ؟

واصلت التهام الموز كقرد جائع ، وحين سمعت الصوت من جديد ..

غ غ غ غ ! إرررغ .. أوغ غ غ !

إن الصوت آت من ناحية المطبخ ..

هناك من يستمتع بالغرغرة الحلقية هناك لسبب غير مفهوم ..

أسرعت - فى الضوء الأرجوانى الخافت - لتلقى نظرة ..

وهناك جوار الموقد الذى يعمل بالكيروسين كان هناك شىء ما ...

شىء أحمر اللون متكوم على الأرض ..

شىء له يـدان وقـدمان .. شىء له شعـر طـويل أسود .. شىء له لسان أحمر يتدلى من فمه ...

شىء له عينان جاحظتان مخيفتان ..

شىء يشبه (جوتسنا) ـ الخادمة ـ فى كل شـىء فيما عدا شيئين :

أولاً : يوجد حبل غليظ يلتف حول العنق ..

ثانيًا : لا يبدو أثر للحياة فى الجسد بأكمله !

★ ★ ★

٩ - الذبابة والعنكبوت ..

و (عبير) تواصل الفرار وقد أوشك قلبها على التوقف ..

إن قلبها يتوسل إليها أن تستسلم .. فهو لم يعد قادرًا على الاستمرار بهذه المعدلات الجهنمية .. إنه يوشك على أن تختلط عليه الأمور فيفتح الصمامات حيث يجب أن تغلق .. وينقبض حيث ينبغى أن ينبسط ...

هى أيضًا بدأت ترى الاستسلام فكرة معقولة إلى حدّ ما ...

لكن عقلها لم يكف عن استرجاع الأحداث التى قادتها إلى هذه الورطة ..

★ ★ ★

خذ عندك مثلاً لحظة العثور على جثة (جوتسنا) ..

لم تكن (عبير) بحاجة إلى عبقرية خاصة لتعرف أن الخادمة اختنقت .. ومن خنقها بالذات ؟ طبعًا جماعة الخناقين ..

فى اللحظة ذاتها رأت أن الستار المغطى لنافذة المطبخ يتأرجح كأنما هناك من يقف وراءه .. وينتظر !

كانت سكين المطبخ هناك .. على الموقد .. وكان الإغراء شديدًا ..

لقد تعلمت من (شكسبير) - فى مسرحية (هاملت) - أن توجيه الطعنات من وراء ستار لا تعنى دائمًا إصابة عدو .. (هاملت) حاول وخسر صديقًا بل وأبا حبيبته ..

لكن هذه ليست مسرحية (شكسبير) .. الأصدقاء لا يختبئون فى العادة وراء ستار .. ثم إنها لو انتظرت وتدبّرت ربما لن تفعل شيئًا أبدًا .. كلا .. إن عليها أن تتصرف بردّ فعل حيوانى سريع ..

و(هوب) ! اندفعت نحو الستار شاهرة السكين ..

وبأعنف ما استطاعت راحت تغرس النصل مرارًا لا حصر لها فى الجسد الواقف وراء الستار ، والذى عجز عن التملص ..

سمعت صرخة .. فأنّة .. فحشرجة ..

ثم تهاوى الجسد .. ومعه تهاوى الستار ممزقًا .. ولم تر كثيرًا من الدماء على عكس ما توقعت ...

أخيرًا ترى الوجه ..

كان هنديًا شرس المحيا .. وقد مات إلى أقصى درجات الموت التى يمكن وصفها .. فقط ظلت عيناه الجاحظتان ترمقانها فى غلّ ..

هنا فقط عادت إلى وعيها وأدركت أنها قتلت رجلاً ..

الأسوأ من هذا أن الرجل كان ينتظر لقتلها ..

وخطر لها هنا أن الخناقين لا يخنقون ضحاياهم فى أثناء النوم .. ربما لأن (كالى) ليست رحيمة إلى هذا الحدّ .. لقد كان الوغد يريدها متيقظة ..

راحت ترتجف كمطرقة جرس كهربى .. وزايلتها أية شجاعة وقتية ..

هرعت ذاهلة الجنان لتوقظ (سوزان) .. أين ذهبت الأخريات ؟

شرعت تهزها فى جنون حتى فتحت عينيها بعد لأى :

- « هيه .. هل هناك فيضان ؟ »

- « أسوأ .. إنهم وراءنا .. لقد خنقوا (جوتسنا) ! »

فركت (سوزان) عينيها ثم تأملت وجه (غصيد) فى دهشة :

- « إن فمك ملىء بالموز .. هل تمزحين ؟ »

هنا فطنت (عبير) إلى أن الذعر أنساها ابتلاع الموز المتكوّم بين خديها .. فازدردته وعادت تحكى ما كان ..

- « .. كان هناك واحد فى المطبخ .. وقد قتلته ! »

- « أنت قتلته ؟ »

- « نعم .. بالسكين .. والآن .. يجب أن نفرّ من هنا .. »

- « وأين الأخريات ؟ »

- « لا أحد سوانا هنا .. »

احمرّ وجه (سوزان) والتمعت عيناها حماسًا :

- « إن هذا مثير ! أخيرًا بعض الإثارة فى هذا البلد المملّ ! »

نظرت (عبير) إلى عينيها فى حنق وغمغمت :

- « إن هؤلاء القوم خطرون بعض الشىء لو كنت قد لاحظت .. لا أرى كثيرًا من الإثارة فى أن أختنق .. »

وارتدت الفتاتان ثيابهما كالمحمومتين .. ولم تنس (عبير) أن تنظف نصل سكين المطبخ من الدماء ثم تدسها فى نطاقها .. إنها - فى قبضتهم - لن تكون أكثر من قط صغير وسط كلاب شرسة .. لكن القط المذعور يكون خطرًا جسيمًا أحيانًا ..

كان الليل قد أعلن سيطرته على (دلهى) ، وراحت جيوشه تجوب الشوارع ملوحة بسيوفها السوداء .. ، حين غادرت الفتاتان المسكن ..

كان هناك رجل عملاق يقف فى فناء الدار .. وكان يرمقهما فى صلابة .. فأجفلت الفتاتان ..

لكنهما تعرفتاه فى ضوء النجوم الشاحب ..

(رامو) الحمّال والحارس الخاص لهما ..

(رامو) كتلة العضلات التى لا يمكن النيل منها أبدًا إلا لو أمكن النيل من الخراتيت ..

فى لهفة صاحت (سوزان) :

ـ « (رامو) ! هذا أنت ! »

هتف بانجليزيته الشنيعة :

ـ « هل أنتما خارجتان أيتها الآنستان ؟ »

كادت (سوزان) تخبره بكل شىء لكن (عبير) لكزتها فى خاصرتها محذرة .. ثم قالت :

ـ « نحن ذاهبتان للنزهة .. فهلا مشيت معنا ؟ »

ـ « لا أرى ما يمنع .. »

وهكذا ـ شاعرتين بالاطمئنان إلى حد ما ـ مشت الفتاتان إلى جوار حارسهما العملاق .. فى شوارع

(دلهى) التى غطاها الظلام .. وتلقائيًا اتجهتا نحو الثكنات العسكرية التى يتمركز فيها البريطانيون ..

* * *

للمرة الأولى تشعر (عبير) بالاطمئنان لرؤية العلم البريطانى ..

وقد سألها الميجور (آيفورى) وهو يصب لها قدحًا من الشاى .. ويوشك أن يضيف إليه بعض (البراندى) لولا أن منعته إشارة من يدها :

ـ « هل تعرفتما أحدًا من المجتمعين ؟ »

قالت (عبير) كاذبة بالطبع :

ـ « لا .. لكنهم يفترضون أننا صرنا عليمتين بكل أفراد التنظيم السرى .. وأعتقد أنهم لن يستريحوا حتى يتخلصوا منا .. »

ـ « موقف عسير .. »

قالها الميجور وهو يشعل مصباحًا آخر ليزيد تألق الضوء وأردف :

ـ « .. إن هذه الجماعة رسميًا لا وجود لها .. لا كيان لها .. أى أننا نبحث عن شىء هلامى .. يمكن أن يكون أى شخص خناقًا فى أية لحظة وإثبات

هذا مستحيل .. أعتقد أن الحل الصائب هو أن تغادر!
(دلهى) ! »
- « نغادر (دلهى) ؟ »
- « و (الهند) كلها .. لِمَ لا ؟ »
وتبادلت الفتاتان النظرات ..
بالنسبة لـ (عبير) لم تكن هناك مشكلة ما .. فكل ما هنالك هو أن المغامرة ستنتهى .. وسيحضر المرشد ليحملها إلى مغامرة جديدة ؛ أما بالنسبة لـ(سوزان) فهى بائسة حقًا .. لقد رتبت البائسة حياتها كلها على الحياة فى (الهند) .. بل هو نوع من الرهبنة الاختيارية التى أزمعت أن تعيش فيها حتى تموت .. كيف تعود إلى (بريطانيا) ؟ كيف ؟
قال لها الميجور وكأنما قرأ ما يدور فى ذهنها :
- « .. إن مستعمراتنا لا حصر لها .. يمكنك الذهاب إلى (عدن) أو (القاهرة) أو (العالم الجديد) أو (أستراليا) .. »
قالت مبتسمة فى إنهاك :
- « لا مشكلة .. كل ما هنـاك هو أننى سئمت البدايات الجديدة .. أنا لم أكف عن البدء من جديد منذ عشر سنوات .. »

قال الميجور وهو يجرع ما بقى فى قدحه من شاى :

- « ستبيتان فى الثكنات ها هنا إلى أن نجد وسيلة لترحيلكما .. يجب أن نتصل برئيس الشرطة والمندوب السامى .. وإجراءات أخرى كثيرة .. »

ثم غادر المكان ليصدر تعليماته للجنود ..

* * *

فى ضوء اللهب كان الجنود البريطانيون يثرثرون .. واستطاعت (عبير) أن تتذكر زيهم المميز بغطاء رأسهم وسراويلهم القصيرة .. وكان هناك بعض جنود هنود يضعون العمائم على رءوسهم ويرتدون ذات الثياب التى يرتديها البريطانيون ..

وكان (رامو) ينتظر جوار الخيمة وقد وقف جواره جندى بريطانى يحرسه .. فأمره الميجور أن ينصرف ..

وكانت الخيمة التى اختارها لهما للنوم خيمة أخرى لا يميزها شىء ، بها فراش أرضى غير مريح ، ومصباح يتدلى من أعلى فى حبل ، وإن امتازت الخيمة بأنها محكمة الإغلاق مما يعطيها نوعًا من

الخصوصية .. وقد تمنى لهما ليلة طيبة وغادر المكان ..

ـ « هكذا فقط ؟ وأين يمكننا تناول العشاء ؟ »

تساءلت (سوزان) فهزت (عبير) كتفيها :

ـ « لا أدرى .. »

ـ « وأين يقضى المرء حاجته ؟ »

ـ « لا أدرى .. »

ـ « أنا لن أنام لحظة واحدة فى حديقة البق هذه .. »

لكنها كانت تعرف أنها ستنام .. حتمًا ستنام .. إن حديقة البق خير من القبر على كل حال ..

وحين أطفأت (عبير) المصباح .. استطاعت أن ترى السيلويت المميز لجندى الحراسة بقبعته والبندقية ذات السونكى على كتفه .. كان يقف خارج الخيمة يقظًا يبعث الاطمئنان فى النفس ..

الآن فقط يمكنها أن تنام ..

★ ★ ★

وحين فتحت عينيها فى الظلام لم تكن تعرف الوقت جيدًا ..

لكن أثار اهتمامها أن هناك من يتغرغر فى الخيمة بقربها !

أ رِ غ غ ! أ و غ غ غ ! غ و و و ه !

حقًا إنه لحماس صحى مبالغ فيه !

★ ★ ★

١٠ - العنق الضيقة جدًا ..

مازلنا إذن مع (عبير) فى ركضها المحموم فارة من مطارديها ..

وكما يحدث فى الأفلام الرديئة يطول (الفلاش باك) إلى حدّ مبالغ فيه ، بحيث نرى كل القصة فى الدقائق المعدودة التى استغرقتها فى الفرار ..

لكن الفرار لن يطول لأن هناك معبدًا متهدمًا يسدّ الطريق ..

وعلى جدار المعبد ترى نقشًا بارزًا لـ (كالى) ! إنها إذن هنا .. فى مملكة (كالى) ذاتها .. وهو ما يشبه فرار فأر إلى داخل المصيدة ..

الفرار لن يطول لأنها ترى عشرة منهم يقفون فوق سقف المعبد .. ترى عمائمهم وأجسادهم السمراء النحيلة .. وبرغم أن قرص الشمس وراءهم - مما يجعل الرؤية متعذرة - إلا أنها تميز حبلاً بين قبضتى كل منهم ..

ترى هل الخنق أليم إلى هذا الحدّ ؟

★ ★ ★

حين صحت على صوت الغرغرة إياه احتاجت إلى بضع دقائق لتفهم .. وأخيرًا بدأت عيناها تألفان الظلام ..

وكان ما رأته هو جسد (سوزان) ينتفض ، وثمة عملاق هندى يجثم فوق ظهرها وقد أرغمها على الانثناء للأمام .. ولف حبلاً حول عنقها من الخلف .. وراح يضيّق ويضيّق !

لم تتمكن من الصراخ أو الوثب عليه لأنها رأت من يدنو نحوها فى الظلام بذات الحبل .. ولهؤلاء القوم عادة فى حمل الحبال بين الكفين المفتوحتين فلا يستخدمون أسلوب الأنشوطة أو المشنقة ..

كان القادم نحوها نحيلاً .. ولم تر وجهه فى الظلام لكنها أدركت أنه لم ير وجهها كذلك ولم يعرف أنها صحت من نومها ..

وفهمت أنهم أيقظوا (سوزان) قبل خنقها حرصًا على مشاعر السيدة (كالى) التى تحرم الخنق فى أثناء النوم .. وبالتأكيد ينوى مهاجم (عبير) أن يوقظها أولاً قبل أن ينفذ مهمته المقدسة ..

قرَرت أن تتظاهر بالنوم الثقيل لتكسب وقتًا ..

وجاء الرجل وراح يهزها فى رفق .. أسلوبه مهذَب جدًا وأقرب إلى الرقى :

- « ميث ! ميث ! »

عرفت أنه يعنى (ميس) أى (آنسة) .. وهى الكلمة الإنجليزية الوحيدة فى جعبته .. ثم ازداد عنفًا .. وراح يهزها فى حماس أكبر :

- « ميث ! ميث ! »

ويرطم بالأوردية بضع كلمات لم تفهمها ..

هنا حان وقت العمل .. فهى تعرف ما يقولونه للفتيات فى محاولات الاعتداء فى عالم الواقع .. إصبعين فى العينين .. لكمة فى الحنجرة .. ركلة فى قصبة الساق .. وكان الحلَ الأول هو الأقرب للصواب ..

وصرخ المهاجم بعنف حين انغرس ظفرا (عبير) فى عينيه ..

وكان الوقت يسمح بلكمة فى حنجرته .. ثم الوثب من الفراش الأرضى ..

فالركض نحو ما تذكر أنه موضع باب الخيمة ..



وجاء الرجل وراح يهزها فى رفق .. أسلوب مهذب جداً وأقرب إلى الرقى : — « ميث ! ميث ! » ..

يا للظلام ! كيف يمكن تبين دربها وسط هذا السواد المتجانس ؟

تعثرت مرتين .. وارتطمت بقماش الخيمة السميك ثلاث مرات ، لكنها فى النهاية وجدت فرجة ما .. استطاعت أن تنفذ منها ..

وتعثرت فى جسد ممدّد على الأرض فسقطت ..

وفى الظلام استطاعت أن تميز أن هذا جسد يرتدى ثيابًا عسكرية ، وعلى رأسه خوذة ، وجواره بندقية .. إنه جسد جندى .. الجندى الذى كان يحرس الخيمة .. لقد تسللوا إلى الثكنات وقتلوه .. لقد ...

لم يتسع الوقت لفهم أكثر لأنها رأت اثنين من ذوى العمامات هؤلاء يخرجون من داخل الخيمة راكضين .. كان بالخيمة أكثر من اثنين إذن .. هى ما زالت راكعة على ركبتيها تتفحص الجثة ..

وبردّ فعل غريزى ارتفع السونكى فى الهواء بزاوية حادة ؛ فى اللحظة التى دنا فيها أكثر المهاجمين حماسًا وسرعة .. وبحماس مماثل انغرس النصل بالكامل فى بطنه ..

ترى ماذا قال ؟ وبمَ شعر ؟ الواقع أنه لم يقل شيئًا

قط ؛ لأنه طار فى الهواء وتكوّم على الأرض كجوال من البصل قادم من الصعيد .. وقبل أن تفهم (عبير) أنها قتلت واحدًا كانت قد سحبت السونكى من بطنه وسددت الفوهة نحو الآخر وضغطت الزناد ..

بوم ! رائحة البارود .. ودوى الطلقة .. يبدو أن هذه البنادق العتيقة كانت تحدث ضوضاء أكثر من بنادقنا المعاصرة ..

وحاولت ضغط الزناد ثانية لكن البندقية كانت تحوى طلقة واحدة .. وتذكّرت على الفور أن أسلوب البريطانيين فى حروب (الهند) كان يستعيض عن هذه النقطة بالقتال بصفين .. صف يطلق الرصاص ثم يتراجع للوراء ويعيد حشو سلاحه راكعًا .. بينما الصف الثانى يطلق الرصاص ثم يتراجع للوراء بدوره .. ويعاود الصف الأول الكرَّة ...

على كل حال لا داعى لطلقات أخرى لأن مهاجمها قد مات ..

وانطلقت كالمجنونة وسط الخيام والبندقية الفارغة فى يدها .. لن تنتظر حتى يأتى من سمعوا الطلقة من الجنود .. إنها لا تعلم مدى سيطرة الخناقين على

المكان .. ثم هى لن تنسى أن عددًا لا بأس به من الجنود الهنود موجودون هنا .. فكم منهم من الخناقين يا ترى ؟

وعند البوابة الخارجية لم تجد أحدًا من الجنود ..

فقط حين دققت النظر أدركت أن هناك حذاءين عسكريين يبرزان من وراء شجرة ضخمة على بعد عشرة أمتار من البوابة .. وعندها فقط عرفت حجم الهجوم .. هجوم معسكرات تقليدى يبدأ بقتل حارس البوابة ثم حارس الخيمة .. يمكن أن يكون هناك عشرون خناقًا فى المعسكر الآن .. ومن حسن الطالع أنها تنبهت .. وأنها لم تبحث عن نجدة ..

وبيد عصبية رفعت أطراف تنورتها لتجعل الركض سهلاً .. وراحت تسابق الريح فى الشوارع المظلمة ..

★ ★ ★

كانت الآن عند الميناء ..

القوارب البدائية المحملة بالغلال والفاكهة تشق طريقها ببطء فى مياه نهر (جمنا) .. والمشاعل ترسم لوحة لا توصف من اللون الذهبى فوق صفحة الفضة .. وثمة من يترنم بلحن حزين مفعم بالشجن ..

إلى أين تذهب ؟ ماذا تفعل ؟ فى من تثق ؟
هنا شعرت بيد رقيقة تجذب تنورتها :
- « مس (هولرويد) ؟ »
- « (سابور) ! »
كان الصبى الحبيب إلى نفسها يقف خلفها ، وهو يتلفت حوله فى توتر .. ولم يبال بدهشتها أو مئات الأسئلة التى تريد توجيهها له ..
قال لها بلهجة عملية وهو ينتزع البندقية من يدها ، ويلقيها جانبًا :
- « من الخطأ أن تمشى هنا .. »
- « إننى .. هناك من .... »
قال بلهجة أكبر من سنه بكثير :
- « أعرف كل شىء .. وعليك أن تتوارى حالاً .. »
وفى حزم راح يركض مبتعدًا عن النهر .. فلم تجد مفرًا من أن تركض وراءه .. بعض المتسولين يفكرون فى الإلحاح عليها ثم يحجمون حين يرون وجهها الممتقع .. وها هى ذى تجتاز عشرات الأزقة الضيقة المظلمة ..
وفى النهاية يفتح (سابور) بابًا خشبيًا ثقيلاً ..

ويقودها إلى حجرة ضيقة تنتشر الطحالب والرطوبة على جدرانها .. ويشعل شمعة صغيرة يثبتها إلى حجر بارز من الجدار ..

تسأله (عبير) وهى تلتقط أنفاسها :

ـ « هلا شرحت لى ؟ وأين كنت أنت ؟ »

يقول (سابور) وهو يتجه إلى الباب :

ـ « كل ما أجرؤ على قوله هو أننا فى مأزق مخيف .. عليك أن تبقى هنا .. ولسوف أحضر بعض الجنود حالاً .. الجنود البريطانيين .. »

ـ « ولكن ..... »

ـ « أعرف .. الوطاويط ! لكنها لا تؤذى يا مس (هولرويد) .. إنها تأكل الفئران لهذا نربيها فى ديارنا .. ولنفس السبب احتفظنا بثعبان الخنزير الذى يجول فى الغرفة الآن .. إن هذا هو جُحره ! »

ـ « وطاو .... ثعب .... ! »

لكن الصبى كان قد رحل .. أوصد الباب خلفه وتركها وحيدة ..

ونظرت إلى السقف فرأت عشرات من تلك الثدييات المجنحة لعينة المنظر .. اللعنة ! من قال إن

الوطاويط أرحم من الفئران ؟ إنها نشأت فى حارة ولا تضايقها الفئران كثيرًا .. ولو ألف منها فلا يمكن مقارنتها بوطواط واحد .. ثم الثعبان .... !

كلا .. يجب أن تغادر المكان حالاً ..

ومدّت يدها إلى الباب .. تحاول فتحه ..

لكنه كان موصدًا .. وعرفت من صوت حركته أن هناك مزلاجًا فى الجانب الآخر ! لماذا يوصد (سابور) الباب بمزلاج ؟ إن أحدًا لا يعرف أنها هنا .. معنى هذا أن المزلاج ليس لحمايتها بل لحصارها ..

إن (سابور) قد صار منهم حقًا ..

ومعنى هذا أنها تركته يقودها إلى الشرك كالبلهاء ..

لقد كان مقنعًا فى لهفته وفى ذعره حتى إنه لم يدع لها فرصةً للتساؤل .. ثم هى عاجزة عن تصديق وجود الشرّ فى الأطفال .. إن إيمانها المطلق ببراءتهم غير قابل للتزعزع إلا بمعجزة ..... كهذه !

والآن ماذا تفعل ؟

هناك فرجة فى السقف الخشبى للحجرة .. لكن الوطاويط ! إنها لن تجازف بالصعود هناك وإثارة غضب هذه الفئران المجنحة أبدًا ..

أتنتظر مصيرها إذن ؟
لم تدم حيرتها أكثر من ربع ساعة لأنها شعرت بشيء يسقط من الفجوة ، ويتكوّم عند قدميها ..
كان هذا الشيء حبلاً .. حبلاً سميكًا من الليف المشبع بالزيت !

* * *

ورفعت عينيها لأعلى ..
كان هناك رأس ذو عمامة يطل عليها من عل .. من الفرجة ..
وسمعت صوتًا مألوفًا يصيح فيها :
ـ « هه ! يا آنسة ! أنا (قسمت) ! »
ومن ذا الذى لا يعرف (قسمت) ؟
ـ « هل تستطيعين التسلق ؟
قالت بذلك الهمس الشبيه بالصراخ :
ـ « ربما استطعت لو كان الحبل متدليًا من شيء .. لماذا لم تربطه عندك ؟ »
ـ « إن هذه الأساليب البدائية لا تناسب (قسمت) »
وبعد ثانية رأت المزمار فى فمه .. وسمعت اللحن المميز الحزين المليء بالمرح برغم ذلك .. وفى هذه

المرة تم الأمر أمام عينيها .. الحبل عند قدميها يتحرك ببطء .. ثم يرتفع لأعلى بتؤدة .. لأعلى .. لأعلى .. حتى يبرز طرفه من فرجة السقف ..

لم يكن (قسمت) قادرًا على شرح ما يريده منها .. لكنها فهمت دون عناء .. وعلى الفور لفت ذراعيها وساقيها حول الحبل وشرعت تتسلق لأعلى .. آه لو كانت هناك عقد فى الحبل ! لكن (قسمت) اقتصادى التفكير لا يريد أن يفقد شيئًا من طول الحبل ..

على كل حال يمكن القول إنها تمكنت من الوصول إلى الفرجة ..

كان الهواء على السطح منعشًا .. وكان (قسمت) وسيمًا كما لم تره من قبل .. وكادت تبدأ الكلام معبرة عن انبهارها بهذا الملاك الحارس .. لكنه هتف همسًا وهو يشير إلى أسفل ويربط الحبل فى قطعة خشب :

- « صه .. لقد جاءوا ! »

وحقًا رأت الصبى (سابور) - ذلك الخائن - يركض ما بين الجدران المتلاصقة ووراءه ثلاثة من هؤلاء الرجال حاملى الحبال .. ولسان حال الصبى يقول : هأنذا قد فعلتها .. ألستم فخورين بى ؟

قال (قسمت) وهو يناول كفًا قوية لـ (عبير) :

- « هلمى .. سأساعدك على النزول ثم نولى الأدبار .. »

وهوب .. انزلقت (عبير) إلى الأرض وتلاها مشعوذها .. ومن داخل الغرفة سمعت صيحة غاضبة .. لقد عرفوا أنها فرّت ..

راحت تركض لاهثة بسرعة لم تعهدها فى نفسها لكن ذراع (قسمت) القوية كانت تجرها جرًا فلم يعد أمامها خيار سوى الجرى بذات سرعته .. أو السقوط أرضًا والخضوع للجرّ ككلب ميت ..

قال لها وهو لا يكف عن الجرى :

- « لهذا قمت بربط الحبل .. إن عثورهم عليه غير مربوط إلى شىء يشير إلى شخصى بوضوح .. لكنهم الآن سيجدون احتمالات كثيرة .. هه .. هه ! »

- « هه هه ! فهمت .. هه هه ! »

وبعد قرون من الركض وجدت (عبير) نفسها فى كوخ خشبى حقير .. وعرفت دون سؤال أن (قسمت) يعيش هنا .. يعيش مع أصدقاء غريبى الشكل نوعًا .. توجد سلة ملأى - حتمًا - بثعابين الكوبرا .. ويوجد

قرد من (موديل) غير معروف .. ربما هو (البابون) .. ويوجد وحش عجيب أقرب إلى تنين صغير أو سحلية ابتلعت بطيخة .. عرفت (عبير) فيما بعد أنه سحلية (الورل) ..

وعلى الجدار كانت هناك مجموعة من الحبال تثير حسد أى هاوٍ لجمع الحبال فى العالم ، لو كان هناك من يجمعها حقًا ..

كان منهمكًا فى إضاءة بعض الشموع ، وسط الرائحة الخبيثة التى تحدثها حديقة الحيوان هذه .. حين سألته (عبير) :

- « هل كل هذه الحبال للخنق ؟ »

قال لها فى لا مبالاة :

- « بعضها .. وبعضها لألعاب الحواة .. وبعضها للزينة .. لماذا تظنين أننى أهوى الخنق ؟ »

قالت وهى تجلس على حشية على الأرض :

- « ألست خناقًا ؟ »

- « بلى .. وأبى كان خناقًا .. وأبوه كان خناقًا .. »

- « إذن أنت تلعب دور المنشق على الجماعة ؟. »

قال وهو يداعب القرد .. ثم يقشر ثمرة موز ،

فيلتهم نصفها ويدسّ فى فم القرد نصفها الآخر :

ـ «ليس انشقاقًا .. لنقل إنه خلاف على المسميات .. »

ثم أردف باسمًا :

ـ « ما كنت لأستطيع أن أقتلك .. ليس لأنك أنثى .. بل لأننى همت بك حبًا منذ التقينا فى السوق .. إن الأسطورة الهندية تقول إننا جزيئات من جسد (كريشنا) الكبير لا تلبث أن تصير ذكرًا وأنثى .. وحين يلتقى اثنان من نفس الجزىء فإنهما يتعرفان بعضهما .. وأنا أشعر أننى كنت معك فى جسد (كريشنا) منذ زمن سحيق .. ألم تشعرى بذات الشىء ؟ »

ـ « بلى .. أعترف .. »

ـ « هذا هو بيت القصيد .. »

قالت له محاولة تغيير الموضوع لأن هذا الكلام يصيبها بأورتيكاريا شديدة هى مزيج من الاستحسان له والنفور منه :

ـ « من أنت ؟ حقًا .. »

ـ « يا له من سؤال ! أنا (قسمت) .. من ذا الذى لا يعرف (قسمت) ؟ »

- « أعنى (قسمت) الخناق .. »
قال فى فخر وهو يتحسس الحبال فى حنان :
- « أنا (جورو) .. »
- « (جورو) ؟ »
- « نعم .. أى رئيس فرقة .. وتحت إشرافى عشرة خناقين .. كلنا نمشى فى سلك الترقيات من أسفله .. وأسفله عندنا هو (اللوجا) .. أى حفار القبور الذى يعدّ القبر للضحية قبل خنقها .. إن دفن الضحية عندنا ذو أهمية قصوى .. وأعتقد أن هناك من دفن خادمتك وصديقتك الآن(*) .. »
- « هل يعود هذا لأسباب أمنية ؟ »
- « لا .. تقول الأسطورة إن (كالى) ضبطت خناقًا يتجسس عليها لمعرفة ما تفعله بالجثة .. من ثمّ قرّرت معاقبته ومعاقبة الخناقين جميعًا بإرغامهم على دفن جثة من يخنقون .. إن هذا لمجهود شاق حقًا إذا عرفت أن كلاً منّا يخنق نحو مائة شخص فى حياته ! أى مائة قبر ! »

(*) من جديد نكرر المعلومات المذكورة هنا عن الخناقين دقيقة تمامًا ..

- « إنها لمهنة شاقة حقًا .. »
- « هكذا الحياة .. »
بدأت القصة تروق لـ(عبير) .. فواصلت أسئلتها :
- « وماذا بعد الـ (لوجا) ؟ »
- « آه .. هنا تأتى مرتبة الـ (سوتا) .. أى المرشد .. وهو مسئول عن استدراج الضحايا ويجمع عنهم المعلومات متخفيًا .. إن (رامو) حارسك الخاص هو (سوتا) بارع فى عمله .. وهو من وجدك وصديقتيك ! »
اتسعت عيناها فى ذهول وانتصبت واقفة :
- « (رامو) ؟ لكنه من السيخ المتعصبين ! »
أخرج تنهيدة قنوط .. وقال وهو يرمق القرد :
- « كذا الناس جميعًا لا يصدقون إلا ما يريدون تصديقه .. هل تريدين من الخنَاق أن يمشى فى الطريق والحبل فى يديه ؟ من الطبيعى أن يبدو الخنَاق أقرب ما يكون إلى المسلم المتدين أو الهندوسى المتعصب .. يبدو تاجرًا محترمًا أو شيخًا جليلاً .. »
- « غريب .. وكنت أحسب الوغد يحمينى .. »

- « ما كان ليخنقك على كل حال فهذا غير مسموح له .. بعد .. ثم تجيء مرتبة الـ (شوشيا) .. الذى يشتت انتباه الضحية إلى أن يتولى الخناق العمل .. إنه يشبه من يقوم بـ (التقفيل) لدى نشاليكم .. ثم يترقى الـ (شوشيا) ليغدو (جورو) .. وهى أعلى مرتبة فى الخناقين .. وأكثر الـ (جورو) يخنقون وحدهم دون مساعدين .. »

- « لكن لكل كبير كبيرًا .. »

- « طبعًا .. رئيس الجماعة هو الرأس المهيمن على كل شىء .. وهو على اتصال مباشر بـ (كالى) .. أو هكذا يزعم .. »

- « وكيف نشأت جماعتكم هذه ؟ »

- « لا أحد يدرى .. يقال إن لها علاقة بمذهب (الحشاشين) القديم فى العراق .. لكننا لسنا متأكدين .. »

ساد الصمت برهة ..

لا صوت سوى صوت السحلية (لا أذكر فى الواقع هل هو نقيق أم خرير أم ثغاء أم ماذا) ..

بعد قليل سألت (عبير) :

ـ « وهل أنا نقطة الخلاف الوحيدة بينك وبينهم ؟ »
ـ « بالطبع لا .. كنت أحاول دومًا إقناعهم بأن عصر التطوير لنشاطنا يجب أن يبدأ .. وإلا فاتنا قطار التقدم .. وانقرضنا(*) »
ـ « تعنى الخنق عن طريق الغازات ؟ »
التمعت عيناه حماسًا ورفع عينيه إلى الأفق حالمًا :
ـ « لا .. نحن نبدد جهودنا فيما لا طائل من ورائه .. لماذا لا نرحم أبناء وطننا قليلاً ونبدأ فى خنق الإنجليز ؟! إن هذا يوجه نشاط الجماعة إلى الطريق الصائب .. »
ـ « وماذا قالوا لك ؟ »
ـ « قالوا إن الخنق ليس تعذيبًا للبشر بل هو رحمةٌ لهم .. وهو شرف لا يستحقه الإنجليز الكلاب .. »
ـ « هذا منطقى .. »
ـ « لكننى لم أجرؤ على إعلان رأيى .. وهو أننى أشك أساسًا فى مبدأ وجود الجماعة .. أشك فى وجود

(*) للأسف لم يصغ أحد لكلمات (قسمت) .. وقد أبيدت الجماعة فى نهاية القرن التاسع عشر لأنها لم تلحق بركب التقدم ..

(كالى) .. وأعتقد أننى لو عبدت إلهًا .. لعبدت إله المسلمين والمسيحيين .. إلهًا واحدًا قديرًا رحيمًا بعباده .. ولهذا كله أرى أن الخنّاقين بلهاء لكن تنظيمهم السرّى المحكم يصلح نواة لمحاربة عدو حقيقى .. هو الإنجليز .. »

- « ووصلت إلى هذا وحدك ؟ »

- « كان هناك تاجر عربى قد بذر بذرة هذه الأفكار فى روحى .. لكن الخناقين يرون أننى مخبول .. وأننى أبشر بأفكار ملحدة خالية من الصواب .. »

- « أنت فيلسوف سبق عصره .. »

- « إن (الهند) هى موطن الفلسفة ومهدها .. لكنها فلسفة غالية ثمنها الوحيد هو الموت .. »

وفجأة نظر إلى (عبير) فى شك ومدّ يده إلى أحد الحبال :

- « كيف تؤيدين رأيى هذا وأنت إنجليزية ؟ هل تحاولين خداعى بشكل ما ؟ »

★ ★ ★

١١ ـ عند مفترق الطرق ..

بماذا ردّت عليه ؟

لم تعد (عبير) تتذكر جيدًا .. لكنها بالتأكيد لم تقل إنها مصرية .. قالت كلامًا كثيرًا عن كراهيتها للإنجليز وعدم شعورها بالانتماء لهم ، لأنها لا تؤمن بالاستعمار فى أية صورة له ..

لا بد أنها استغرقت بعض الوقت حتى تخلت يداه عن الحبل ، ولانت قناته قليلاً .. وأخيرًا قال لها :

ـ « هذا غريب .. لو أصغيت لقومى لخنقتك لأنك عرفت الكثير عنا .. ولو أصغيت لنفسى لخنقتك لأنك إنجليزية .. لكن صوت قلبى أعلى من الصوتين .. ولا أجد سوى الخضوع له .. »

وفجأة تصلّب ..

كان هناك من يتحدّث بأوردية غاضبة خارج الدار :

ـ « آرام جوهار أردهار ماندرانات إنجليس ! »

ـ « لاكين ها موشكيل آتشا ! رابرادات شونكار .. هاه ! »

صاح همساً وهو ينهض مذعوراً :

- « إنهم من الخناقين .. لقد تعرفوا الحبل فى محبسك الذى فررت منه ورجحوا أنه يخصنى .. ويبدو أن هناك من رآنا ندخل هنا »

- « يا للكارثة ! »

وانهمرت قرعات غاضبة على الباب :

- « (قسمت) ! (قسمت) ! »

قرعات تكاد تنتزع الباب من مفصلتيه ..

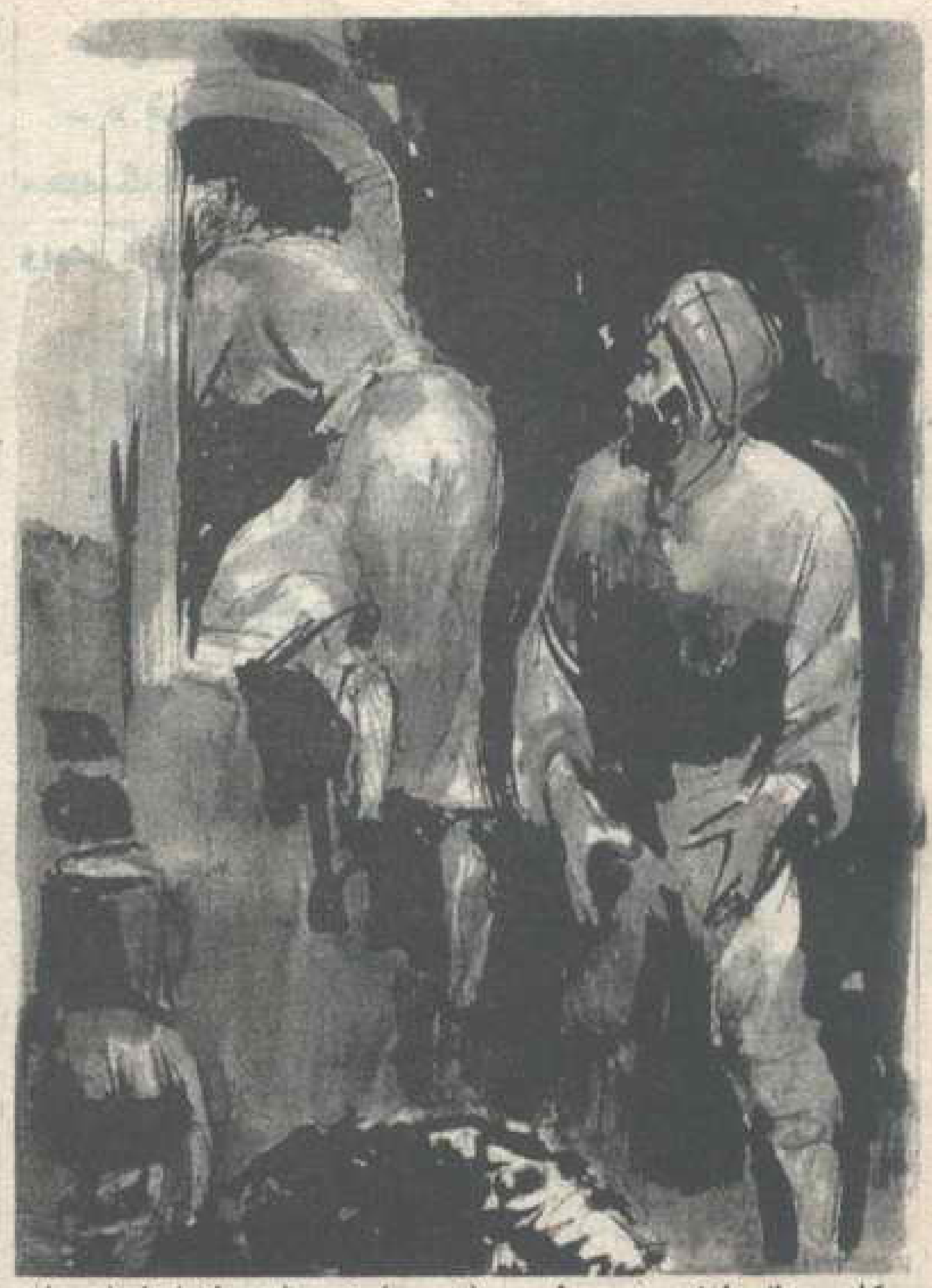
كانت هناك نافذة موصدة أسرع (قسمت) بفتحها .. وأشار لـ (عبير) بالخروج منها .. ثم عاد فأخذ سحلية (الورل) فلفها حول عنقه ولحق بالفتاة .. وانطلقا يركضان فى الشوارع المظلمة ..

سألته (عبير) وهى تلهث :

- « هه هه ! هل هذه السحلية من المتاع المهم إلى هذا الحدّ ؟ »

- « هـه هـه ! طبعاً .. إن الحياة دون سحلية مستحيلة .. وأنا لا أفهم كيف يمارس الإنجليز حياتهم دون سحالٍ ! »

ثم أردف بلهجة جدية :



كانت هناك نافذة موصدة أسرع (قسمت) بفتحها .. وأشار لـ (عبير) بالخروج منها ..

- « ستعرفين أهميتها حالاً .. »

كان هناك سور عال يسدّ الطريق .. وأدركت (عبير) أن التسلق مستحيل .. والتراجع مستحيل كذلك .. فما الحلّ ؟

هنا رأت (قسمت) يخرج من منزره حبلاً .. ويربط الحبل فى جسد (الورل) بإحكام .. ثم يترك (الورل) على الجدار ..

فماذا فعل (الورل) ؟ بالطبع تسلق الجدار مستعملاً ممصاته حتى وصل إلى أعلاه .. وتشبث بمكانه وهو يخرج لسانه المشقوق فى جشع ..

جذب (قسمت) الطرف الحرّ من الحبل ليتأكد من كونه محكمًا .. ثم دعا (عبير) إلى التسلق .. فصرخت :

- « أتسلق حبلاً مربوطًا فى سحلية ؟! هل جننت ؟! »

- « بالعكس .. إنه أسلوب هندى قديم يمارسه اللصوص .. إن تمسك (الورل) بالجدار يجعل الحبل قادرًا على تحمل رجلين(*) .. »

(*) حقيقة ..

- « كنت تستطيع رفع الحبل بمزمارك أو تدرب القرد على ذلك .. »

- « المزمار سيجذب (دلهى) كلها إلى هنا .. والقرد لن يحسن تثبيت الحبل مهما حاولنا .. والآن هيا ! لن نقضى الليل فى جدال .. »

وفى توتر راحت (عبير) تتسلق الحبل غير مصدقة أنه سيتحملها .. وحين وصلت لقمة الجدار وجدت (الورل) لم يتزحزح شعرة .. وإن راح يصدر هسيسًا مخيفًا .. ولسانه المشقوق يتحسس شفتيه الحرشفيتين بحركات عصبية سريعة ..

ولحق بها (قسمت) .. فأدلى بالحبل إلى الجانب الآخر من السور .. وانزلق عليه لأسفل .. وتلته (عبير) ..

بعدها أصدر هسيسًا خاصًا .. فتخلت السحلية عن مكانها .. وانزلقت على السور نازلة إليه ..

سألته (عبير) وهما يواصلان الركض :

- « أين تعلمت كل هذا ؟ »

- « نسيت أن أقول لك إننى كنت لص بيوت قبل أن أغدو (لوجا) .. هه هه ؟ »

واصلت الركض .. وبعد هنيهة سألته السؤال المحتم :

- « إلى أين ؟ »

- « إلى أحد معسكراتكم .. لن أصطحبك هناك .. بل سأتركك تتفاهمين معهم .. وأعتقد أنه من الخير أن تتركى (الهند) .. »

- « هذا ما أراه .. »

فى تردد سألته :

- « وأنت ؟ يبدو أننى أفسدت عيشك فى (الهند) للأبد .. كيف ستعود إلى هؤلاء وهم يعرفون أنك منشق ؟ »

- « لن أعود .. » - قالها وهو يربت على عنق السحلية - « .. سأرحل إلى (مدراس) أو (بومباى) وأبدأ من جديد .. »

- « ولِمَ لا ترحل إلى (انجلترا) ؟ »

- « لا مكان لى هناك .. إن لنا جالية كبرى فى جنوب (إفريقيا) ولربما فكرت فى اللحاق بها .. »

★ ★ ★

هنا وجدت (عبير) صفًا من الهنود يقفون سادين طريق الهرب أمامهما .. ولم يكن أحدهم يحمل كارنيه

نقابة (الخنّاقين) .. لكن لم يكن الأمر يحتاج إلى كثير ذكاء لمعرفة أنهم منهم ..

صاحت فى هلع وهى تثبت كعبيها فى الأرض كالفرامل :

- « كـ .. كيف وجدونا ؟ »

قال وهو يفرمل بالمثل :

- « سؤال جيد .. لكنى لا أعرف إجابته .. »

ثم ضغط على أسنانه .. وأحكم لفَّ السحلية حول عنقه كالبردة .. وقال :

- « إنها (لحظةَ الحقيقة) كما تقولون معشر الإنجليز .. وقد حان الوقت لنفترق .. سأحاول تعطيلهم برهةً .. »

هتفت فى ذعر وهى ترى القوم يخرجون حبالهم ويتقدمون :

- « لـ .. لكن .. إنهم سيدمرونك .. »

- « بالتأكيد .. »

- « لماذا لا تفرّ معى ؟ »

- « لا بد من أن ينتظر أحد من أجل الآخر .. إن اتجاهك سيكون شرقًا .. حاولى الاحتماء بجدران

المنازل .. ولا تتقى بالشيوخ المكفوفين ولا الأطفال الأبرياء .. وداعًا .. وليحفظك اللّه .. »

ولم تجد وقتًا لتفهم ..

فقط وجدت نفسها تركض فى الاتجاه الذى حدّده .. والتفتت فوق كتفها لترى عجبًا ..

من الذى لا يعرف (قسمت) ؟

إن (قسمت) يدور فى الهواء .. يتدحرج على الأرض .. يلقى بسحليته فى وجه أقرب الخصوم له فيصرخ ويدارى وجهه .. ثم يثب وينتزع السحلية التى غرست ممصاتها فى لحم الوجه .. ويقذفها نحو مهاجم آخر ..

ويرفع الأول فى الهواء ليقذفه فوق مهاجمين آخرين ..

وترى (عبير) عشرات من القوم ينقضون -كالقرود- آتين من حيث لا تعلم .. يقفزون من فوق سطوح المنازل ، وهم يعوون كالذئاب والحبال فى أيديهم ..

(قسمت) ! من ذا الذى لا يعرف (قسمت) ؟

هو ذا يأتى بحركات راقصة يروغ بها من بين

صفوف المهاجمين .. ثم يركل هذا .. ويضرب ذاك فى عنقه .. ويلوى ذراع هذا ..

وساعد ثوبه الأبيض - الشيلوار - فى جعله يبدو كملاك وسط شياطين عارية الجسد لا تكف عن العواء وطلب الدم ..

(قسمت) .. من ذا الذى لا يعرف (قسمت) ؟

وهنا فطنت (عبير) إلى أنها أضاعت وقتًا ثمينًا ..

فراحت تركض كما علمها ..

وتدحرجت دمعة على وجنتيها وهى تدرك أنها غالبًا لن تراه ثانية .. لكن ماذا بوسعها أن تفعل ؟

★ ★ ★

وها هى ذى - كما رأيناها عبر فصول القصة - تواصل الركض وتنورتها بين كفيها .. وقد حنت ظهرها لتقلل احتكاك الهواء بها كما يفعل المتسابقون بالدراجات ..

ورأيناها واقفة أمام معبد (كالى) ترمق فى هلع هؤلاء الواقفين فوق الجدران .. وخلفها .. والحبال فى أيديهم ..

إن هذه نهاية السباق حتمًا ..

- « (قسمت) ! »

همست بها متوقعة أن يظهر كعادته فى آخر لحظة لينقذها من المذبحة .. لكن - حتى فى (فانتازيا) - يغدو هذا مستحيلاً الآن ..

وهنا وجدت أن للمعبد بابًا ..

إن للمعبد بابًا ثقيلاً .. ويمكن بشىء من الجهد أن ...

أطلقت ساقيها للريح قاصدة الباب ..

لو كان منهم من ينتظرها بالداخل فسوف ......

سمعتهم يتصايحون .. بالتأكيد عن الأجنبية التى ستدنس المعبد .. بقدميها الأنجلوساكسونيتين القذرتين .. أو أى شىء من هذا القبيل ..

ولكنها وجدت الوقت الكافى كى تدلف إلى المذبح ..

كان هناك مشعل واحد يضىء المكان .. واستطاعت أن ترى الجدار العملاق يزدان بتمثال هائل يبرز منه .. يمثل (كالى) بأذرعها الستة وهى جالسة على عرشها الذى لو تزحزحت عنه لاجتاحت الزلازل العالم ..

لكن التمثال كان يختلف عن تماثيل الهندوس ..

فالملامح قاسية شرسة وثمة حبل فى كل كف من أكفها .. إنها (كالى) حقًا لكن بعد أن صارت (بوهوانى) .. وبعد أن طلاها الخناقون بصبغتهم ..
ونظرت (عبير) حولها ..
كان الخناقون قد دخلوا المعبد .. ورأتهم يتصايحون ويتبادلون كلمات منزعجة .. وبرغم حنقهم ظلوا عاجزين عن الدنو من التمثال .. لا بد أنهم يهابون الدنو من هذا الشىء ...
إنها فرصتها إذن ...
تسلقت التمثال المخيف .. فتصاعدت الصرخات ..
لا بد أنهم يتوقعون أن تنطبق السماء على الأرض أمام كل هذا التجديف الإلحادى الخارق للعادة ..
جلست (عبير) كالرضيع فى حجر (كالى) .. وتذكرت هنا شيئًا .. إن كل هذه الأصنام تكون لها - فى القصص - فتحة ما تقود إلى نفق سرى .. وبالتأكيد لن يترك (دى - جى - ٢) فرصة كهذه ..
بالفعل هناك فتحة ..
بعبارة أدق يوجد باب سرّى له مقبض بارز .. فلو أمكن أن ....

وجذبت المقبض .. وعلى الفور انفتح البـاب .. ورأت من مكانها بئرًا عميقـة مظلمـة تنتظرها .. إلام تقود ؟ لا تدرى ..

لكنها لن تظل محتمية بـ (كالى) للأبد .. فـالهنود يتمتعون بالصبر ولـن يضيرهم فـى شـىء أن يعيشـوا حول التمثـال أعوامًا ـ وعلى سبيل التبـرك ـ إلـى أن تقرر (عبير) الابتعاد عن (كالى) ..

وهكذا ..

مدّدت جسدها .. وانزلقت عبر الفتحة إلى أسفل ... إلى أسفل .. إلى أسفل .. إلى أسفل ..

البئر منحدرة كألعاب الملاهى ..

والممر وعر ملـىء بالانحنـاءات .. لكـن جسـدها لا يكف عن الانزلاق ..

وبدأت تتساءل فى الظلام عما إذا كانت هناك نهايـة لكل هذا .. هل ستخرج فى المحيط الأطلنطى أم ماذا ؟

لكنهـا تواصل الانحدار .. وهـى تشـعر بـأن النـار ستندلع من ردفيها من شدة الاحتكاك ..

وبعد قليل رأت النور .. و ..

هوب ! قذفت فى الهـواء .. وتمـددت علـى الأرض وسط الأشجار مهشمة الأوصال والعظام ..



لكنها تواصل الانحدار .. وهى تشعر بأن النار ستندلع من ردفيها من شدة الاحتكاك ..

لقد غادرت النفق .. لكن أين هى الآن ؟

يوجد جدار به فتحة هى التى سقطت منها .. فهل هذا الجدار جزء من المعبد ؟

هنا سمعت زئيرًا ..

وتذكرت حقيقة بسيطة : إنها فى الغابة .. والنمور تعيش فى الغابات ..

وبالتحديد الببر الهندى .. العملاق الشرس رائع الجمال ..

الأشجار المتشابكة تمتد أمامها إلى مالا نهاية .. والأعشاب تجعل الرؤية مستحيلة .. وفى مكان ما ينتظر هذا القاتل ....

وقفت متصلبة عاجزة عن اتخاذ قرار سليم ..

وهنا سمعت من يتنحنح ..

إن الصوت مألوف ..

إنه (قسمت) !

هرعت لتعانقه فى حنين وهى تغالب دموعها .. إنه حىّ .. أنساها الفرح تحفظها .. لكنه لم ينس تحفظه .. فتقبل عناقها فى سلبية متصلبًا كالتمثال .. وأصدر أنّة حين لامست ضلوعه ..

لم يكن هو (قسمت) الذى عرفته .. بل ما تبقى منه ..

الكدمات تملأ وجهه .. والجروح تفعم جسده .. ومن الواضح أن لديه ضلعًا أو اثنتين قد تهشمتا ..

وحين ابتسم أدركت أنه لن يأكل الخبز المحمص ثانية فى حياته ..

- « لكنك حىّ .. »

قال محاولاً أن يكون مرحًا :

- « لا أحد يموت بسهولة فى الهند إلا بالكوليرا .. هل نسيت ؟ »

- « وكيف فررت منهم ؟ »

- « حين قررت أن الشجاعة ليست مرادفًا للانتحار .. عندئذ أطلقت ساقى للريح .. وسمعتهم عند المعبد يتصايحون : إن الإنجليزية الكلبة قد .. »

- « كلبة ؟! »

- « هذا ما قالوه .. إن الإنجليزية الكلبة قد اختفت داخل (كالى) .. عندها هرعت إلى هنا لأجدك .. »

- « لكنهم يعرفون المكان مثلك .. »

- « يعرفون .. لكن أحدهم لا يجرؤ على الدنو من

(كالى) .. ولن يستطيعوا الخروج من باب المعبد لأننى أوصدت الباب من الخارج بإحكام .. إنهم محاصرون بالداخل .. أكثر من خمسين خناقًا .. »

هتفت فى حماس :

- « رائع ! والآن نبلغ الشرطة ؟ »

قال وهو يتجه نحو فتحة البئر :

- « إن لدىّ حلولاً أكثر جذرية .. دعينا نسدّ هذه الفتحة أولاً .. »

هنا تعالى الزئير من جديد .. فصاحت :

- « هذا الببر .. ألن ؟ »

- « لا عليك .. إنها أدغال الهند حيث لا نبالى بكل زئير ببر نسمعه وإلا ما وجدنا وقتًا لشىء آخر .. »

وفى حنكة شرع يسدّ الفتحة مستعملاً الصخور وأغصان الشجر ..

ثم جذبها من يدها .. وانطلقا يدوران حول الجدار ..

عندها فهمت (عبير) أن هذا هو الجدار الخلفى للمعبد .. وفهمت أن شبكة المنحنيات التى دخلتها جعلت المسافة أطول مما هى عليه على سطح الأرض ..

هو ذا المدخل الرئيسى للمعبد وقد أوصده (قسمت) .. وقام بتثبيت الباب بحبل غليظ وغصن شجرة وأشياء أخرى وجدها .. وكلها تجعل الأمر عسيرًا حقًا ..

لكن أحدًا لم يدفع الباب من الداخل .. كانوا منهمكين فى مراقبة فتحة البئر .. ويبدو أنهم لم يفطنوا بعد إلى أنهم سجناء ..

ورأت (عبير) (قسمت) يعمد إلى جرار فخارية مسدودة بخرق من القماش .. فيسكب ما بها حول الباب ..

ويدور حول المعبد متثاقلاً يواصل سكب محتوى الأوانى ..

- « هل ستحرقهم أحياء ؟ »

قال وهو مستمر فى السكب :

- « طبعًا .. لاخلاص من (الماتجوسْت) إلا بحرق وكره .. »

- « لكن الشرطة .... »

- « لو استدعينا الشرطة لجازفنا بأن يصل أحد الخناقين ليفتح الباب لزملائه .. »

ورأته (عبير) يرفع كفه فى الهواء ..

في اللحظة التالية اشتعلت فيها النار .. ثم لامس بكفه السائل ..

وفي ثانية التهب كل النطاق حول المعبد ...

وإذا بـ (قسمت) يطوح ما تبقى من جرار إلى سقف المعبد ليزيد النار نارًا ..

ثم ابتعد و (عبير) يرمقان المشهد المهيب ..

النار تتصاعد والدخان الكثيف يأكلان مملكة (بوهواني) الدموية ..

وسمعا صرخات من الداخل .. وصوت دقات على الباب الثقيل .. لكن النار بدأت تتوهج في الخشب العتيق ..

وتخيلت (عبير) الجحيم الدائر بالداخل :

لكنها - لدهشتها - لم تشعر بشفقة من أي نوع ..

سألته وهي ترمق الدخان الأسود في السماء :

- « والباقون ؟ »

- « مازال كثيرون منهم هناك .. خاصة في (حيدر آباد) .. لكنهم سينقرضون حتمًا حين تقوى شوكة الحكومة .. »

- « وهل يأتي خناقو (دلهي) الآن ؟ »

- « حتمًا .. سيعرف الجميع أن معبد (كالي)

يحترق .. وأعتقد أن الفرار هو خير ما نفعله الآن .. »

★ ★ ★

وفجأة من بين الأعشاب رأت (عبير) شبحًا مألوفًا يدنو وهو يداعب قلمًا جافًا بين أنامله :

- « تك تتك تك ! تحية يا فتاة .. »

هتفت في دهشة :

- (المرشد) ! ظننتك لن تعود .. »

- « أنا أعود دومًا حين أشعر أنك نلت وطرك من القصة .. ولا أعتقد أن هناك شيئًا شائقًا يمكن جعلك تمرين به في قصة الخناقين بعد كل ما رأيت .. »

- « ولكن .. ماذا عن .... ؟ »

- « (قسمت) ؟ من ذا الذي لا يعرف (قسمت) ؟ إنه فتى شجاع وأعتقد أنه سيفرّ إلى جنوب إفريقيا كما أراد .. »

قال (قسمت) وهو يلملم أطراف ثيابه الممزقة :

- « هل أنت (المرشد) ؟ سعيد بمعرفتك يا أخي .. »

- « وأنا .. سرني أنكم أمتعتم مس (هولرويد) أو (عبير) .. »

- « هذا هو الغرض من وجودنا جميعًا .. نحن هنا

منذ قرأتُ عنا .. بانتظار أن تزورنا وتخوض مغامرة معنا .. »

كان الدخان الأسود مستمرًا فى التصاعد ..

وتهاوى الجدار الخلفى للمعبد محدثًا ضوضاء غير عادية ..

قال (المرشد) :

- « تك تك تتك ! هيا يا (عبير) ودعى فارسك لأننا راحلان .. »

فدنت (عبير) من (قسمت) وقالت عيناها كلمات كثيرة لم يجرؤ لسانها على التلفظ بها .. دائمًا هو ينقذها .. سواء كان الجوّال أو (شريف) أو البطل الإغريقى (بيرياسوس) أو المشعوذ (قسمت) ..

قال لها كلمات صامتة مماثلة ..

وحين تحرك لسانها كان آخر ما قالته هو :

- « بالمناسبة .. (حزام) تُكتب belt وليس pelt كما كتبتها ! »

هزَّ رأسه فى خجل .. وغمغم :

- « سأتذكر هذا فى المرة القادمة .. »

وعندها .. جذب (المرشد) ذراعها فى رفق ..

وابتعدا عن المعبد المحترق .. وعن (قسمت) ...

★ ★ ★

فى القصة القادمة تدخل (عبير) عالمًا متشابكا متكاملاً هو قطاع كامل من (فانتازيا) .. عالم دسائس الملوك والأمراء المترددين والأرواح الهائمة والبنات العاقات واليهود المتعنتين ...

عالم خرج من رأس عبقرى يدعى (وليام شكسبير) ..

إن الكتيب العاشر سيكون فريدًا من نوعه حقًا ..

★ ★ ★

[تمت بحمد اللّه]

فانتازيا
مغامرات ممتعة
من أرض الخيال
روايات
مصرية للجيب

الخنّاقون

فى هذه القصة نتعرف الخنق كوسيلة محببة للتعبير عن النفس !

إن الخنق يحرر البشر ، ويقوى الروابط الاجتماعية والأسرية ، ويزيد من جمال الحياة ورونقها .. اليوم نجد أنفسنا وسط عشيرة الخناقين .. ومعهم سنتعلم روعة الخنق .. حتى لو غدونا نحن أول الضحايا !



د. أحمد خالد توفيق

الثمن فى مصر ١٥٠ ص
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٢٨٣٧٠٠٤